تعليقة

على شرح السنة للإمام المزني

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه

اعتنى به

خالد بن عبد الله الكندري

تَعْلِيقَةٌ

عَلَى شَرْحِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْمُزَنِيِّ

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

تعليقة

على شرح السنة للإمام المزني رحمه الله

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه

اعتنى به

خالد بن عبد الله الكندري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وسلم تسليمـًا كثيراً، **أما بعد:**

فهذا شرح مختصر لكتاب: «شرح السنة» للإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى ابن إسماعيل المزني رحمه الله تعالى في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

وهو مُؤَلَّفٌ قَيِّمٌ في بابِهِ، عَرَضَ فيه مؤلفُهُ رحمه الله تعالى مسائلَ العقيدةِ عرضـًا مختصراً، بأُسلوبٍ شَيِّقٍ، وتحقيق متين، وهو معدودٌ في أهمِّ المختصرات المُؤَلَّفة في بيان عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وشرحي لهذا الكتاب هو في الأصل دروسٌ ألقيتُها في دورة علمية أُقيمت في المدينة النبوية، وقد أشارَ عليَّ عددٌ من الإخوةِ بأن تُفَرَّغ من الأشرطة، وتُجْعلَ في كتاب ليكون نفعُها أعم، وفائدتها أكبر، وشجَّعَني على ذلك أنه لا يوجد للكتاب شرح

مطبوع، مع اعترافي بقلة العلم، وقصور الفهم، وعدم الأهلية.

وقد قام أحدُ الإخوة الأفاضل جزاه الله خيراً بتفريغ الشرح من الأشرطة، ثم جرى تصحيحُ المتن، وحذفُ المكررات، وتوثيقُ النُّقُول، ونقلُ ألفاظها من مصادرها، وعزو الآيات والأحاديث، مع إضافة جملة من الفوائد واللطائف، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبلَ هذا الجهد بقبول حسن، وأن ينفعَ به، وأن يكتبَ له القبولَ، وأن يجزيَ كلَّ من ساعد في إخراجه بأيِّ نوع من المساعدة ـ سواء في تسجيله، أو تفريغه من الأشرطة، أو مراجعته وتصحيحه، أو طباعته ونشره ـ خيرَ الجزاء، وأخُصُّ بالذكر أخي الكريم خالد بن عبد الله الكندري لجهوده الكبيرة في خدمة الكتاب والعمل على إخراجه ـ وفقه الله وبارك في جهوده ـ، إنه سبحانه خير مسؤول، وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

عفا الله عنه وغفر له ولوالديه
ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إنَّ الإمامَ الشافعيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامٌ كبيرٌ، وعالمٌ جليل، له جُهودٌ عظيمةٌ في خدمة دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسنة رسوله الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصولِ الدين وفروعه، ولقد حاز مكانة كبيرةً في نفوس المسلمين، وانتشرت أقواله وتقريراته في الآفاق، وتتلمذ عليه جماعة كثيرة من العلماء والفقهاء، ساروا على منهجه، وارتسموا طريقته؛ وكان من مُبَرَّزيهم الإمام أبو إبراهيم المزني، فإنه لازم الإمام الشافعيَّ مدة طويلة، وأفاد منه في الأصول والفروع، وقد أثنى عليه من عاصرهُ من أهل العلم، وشهدوا بفضله وعلمه -كما سيأتي في ترجمته- وقد صنَّف هذا الإمام الجليل عدداً من التصانيف النافعة، من جملتها رسالتُه هذه: «شرح السنة»، وهي رسالة قيمة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، بناها على نصوص الوحيين، وسلك فيها سبيل أهل العلم الراسخين، وقرَّر فيها عقيدة من سَبَقَهُ من سلف الأمة المتقين؛ ومن جملتهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث استفاد منه في تقرير مسائلها، كما سيظهر بعض ذلك في ثنايا هذا الشرح.

هذا وإنَّ الناظر في كلام أئمة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في الاعتقاد قديماً وحديثاً -الشافعيِّ وغيره- يجدُ تطابقاً وتوافُقاً بينهم في جميعِ أبواب الاعتقاد، ومسائل التوحيد.

قال أبو المُظَفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٨٩هـ) -وهو من أعيان علماء الشافعيَّة-:

(ومما يدل على أن أهل الحديث على الحقِّ أنك لو طالعت جميعَ كُتُبِهم المصنفة من أوَّلِها إلى آخرها، قَدِيمها وحَدِيثها، وجدتها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسُكُونِ كُلِّ واحد منهم قطراً من الأقطار، في بيان الاعتقاد على وتيرةٍ واحدةٍ ونمطٍ واحدٍ، يَجْرُون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون عنها، قلوبهم في ذلك على قلب واحد، ونقلهم لا ترى فيه اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدْتهُ كأنه جاء عن قلبٍ واحدٍ، وجرى على لسان واحد)[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٢٨هـ): (اعتقاد الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ واعتقاد سلف الإسلام؛ كمالكٍ، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه؛ وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم؛ كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نِزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافقٌ لاعتقاد هؤلاء، واعتقادُ هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتاب والسنة)[(٢)].

وهذا التوافق بينهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ لأنَّ مَصدَرَهم ومنبَعَهم جميعاً وَحيُ الله الذي لا اختلاف فيه ولا تناقض، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، وأما من كانت مصادرهم غير الوَحْيِ كالعقل مثلاً فأولئك تجد عندهم اختلافاً كبيراً، لأنَّ العقول متفاوتة والآراء متباينة، فينتج من ذلك اختلافٌ عريض وتباينٌ كبير في العقائد.

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم» للموصلي (٤/ ١٥٥٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٥٦).

ولعلي أذكر في هذه المقدمة أُنموذجًا لهذا الثبات من تلاميذ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الذين تلقَّوا عنه مباشرةً، وكذا من جاء بعدَهُم؛ ممَّن ثبتوا على السنَّة، وسلَكوا طريقة الشافعيِّ وغيره من أئمَّة الملَّة في تقرير مسائل التوحيد والديانة، وكان لهم جهدٌ وبلاءٌ في نشر هذه العقيدة المباركة، عقيدةِ أهلِ السنة والجماعة، في كتبهم ومصنفاتهم، وقَدْ حرصتُ على سَوْقِ بعض المواقف من حياة هؤلاء العلماء، وكذا بعض العبارات التي تبيِّنُ نصرتهم للعقيدة وذبهم عنها:

الأول: **الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الحميدي المكي** رَحِمَهُ اللَّهُ (٢١٩هـ)، يُعدُّ من الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي، ورحل معه إلى الديار المصرية، وتتلمذ عليه، ولزمَهُ حتى وفاته[١].

له رسالة عظيمة في بيان معتقد أهل السنة والجماعة، وهي مطبوعة بعنوان: «أصول السنة».

قال الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحميدي مفتي أهل مكة ومحدثهم وهو لأهل الحجاز في السنة كأحمد بن حنبل لأهل العراق»[٢].

الثاني: **أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشي البُوَيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٣١هـ) ، ويُعتبر هذا الإمام الجليل من خواصِّ طُلاب الإمام الشافعي رَحِمَهُمَا اللَّهُ، حتى قال عنه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس أحدٌ أحقُّ بمجلسي من يوسف بن يحيى، وليس أحدٌ من أصحابي أعلمَ منه)[٣]، وقد عُرف رَحِمَهُ اللَّهُ بصفاء عقيدته ومجانبته للبدع وأهلها.

---

(١) انظر «طبقات الشافعيين» لابن كثير (ص١٣٨) و «تاريخ الإسلام» (٥/ ٣٤٢).

(٢) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٦٧).

(٣) « مناقب الشافعي » للبيهقي (٢/ ٣٣٨).

وقد امتُحِنَ رَحِمَهُ اللهُ بسبب عقيدته في القرآن حيث وَشَى به أحدُ القضاة مِن مصر عند الوالي ليوافق القول بخلق القرآن، فأبى وامتنع أشدَّ الامتناع رَحِمَهُ اللهُ، فحُمِل إلى بغداد مع جماعةٍ آخرين من علماء الشافعية، وأركبوه بَغْلةً وهو مغلول اليد والعنق، مقيداً في أربعين رطلاً من حديد، كلُّ هذا ليجيبهم إلى بدعتهم في القرآن وهو صابرٌ على عقيدته لا يجيبهم لشيء من ذلك، فحُبِسَ ببغداد والحديد على بدنِهِ، حتى إنه قال رَحِمَهُ اللهُ: (إنَّهُ لَيَأتي عليَّ أوقاتٌ ما أُحِسُّ بالحديد أَنَّهُ على بدني حتى تَمَسَّهُ يدي)، وكان يقول رَحِمَهُ اللهُ: (إنما خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الخلقَ بـ(كُن)، فإذا كانت (كن) مخلوقةً فكَأَنَّ مخلوقًا خلقَ مخلوقًا، **فوالله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم**)، ومات رَحِمَهُ اللهُ في السجن مُمتَنِعًا عن القول بخلق القرآن[١].

الثالث: إسماعيل بن يحيى المُزَني رَحِمَهُ اللهُ (ت٢٦٤هـ)، مُؤَلِّف هذا المصنَّف، وسيأتي الكلام عن هذا الإمام فيما بعد إن شاء الله.

الرابع: الإمام أحمدُ بن عمر بن سُرَيج رَحِمَهُ اللهُ (٣٠٦هـ)، الملقب بالباز الأشهب، وكان بعضهم يُفضلّه على بعض أصحاب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، وله رسالةٌ قيِّمَةٌ في السُّنَّة، ساقها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «اجتماع الجيوش»[٢].

الخامس: الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ (٣١٢هـ)، صاحب كتاب «التوحيد»، وقد تتلمذ وأخذ الفقهَ عن الإمام المزني رَحِمَهُ اللهُ.

قال عنه الإمام المزني رَحِمَهُ اللهُ: **(ابن خزيمة أعلم بالحديث مني)**[٣].

السادس: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري رَحِمَهُ اللهُ (٣٧٠هـ) العالم الجليل

---

(١) راجع تفاصيل محنته رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «تاريخ مدينة السلام» للخطيب (١٦/ ٤٣٩).

(٢) ذكرها في فصل: قول إمام الشافعية في وقته أبي العباس بن سُريج (٢/ ١٧٠-١٧٤)

(٣) «طبقات الفقهاء» للشيرازي (ص١٠٦).

صاحب كتاب «تهذيب اللغة»، وهذا الكتاب من أنفع كتب اللغة التي حثَّ العلماء على الاستفادة منها، لأنه سَلِمَ من رواسب علم الكلام ومُخلَّفاتِهِ.

السابع: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الفقيه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٧١هـ)، وهو صاحب كتاب «اعتقاد أئمة الحديث».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الفقيه الإمام الحافظ، أحد كبراء الشافعية فِقْهًا، وحديثًا، وتصنيفًا)[١].

الثامن: الإمام أحمد بن أَبي طاهر، **أبو حامد، الإسْفَراييني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٠٦ هـ).

قال ابن كثير: (شيخ الشافعية بلا مدافعة...حتى كان يقال له: الشافعيُّ الثاني)[٢].

وقال الشيخ أبو الحسن الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان الشيخ أبو حامد الإسفراييني شديدَ الإنكارِ على الباقلاني وأصحابِ الكلام، ولم تَزلْ الأئمةُ الشافعية يأنفون ويَسْتَنْكِفون أن يُنْسَبوا إلى الأشعريِّ، ويتبرؤون مما بنى الأشعريُّ مَذْهَبَهُ عليه، ويَنْهون أصحابَهم وأحبابهم عن الحَوْم حَوالَيهِ، على ما سمعتُ عِدَّةً من المشايخ والأئمَّةِ؛ منهم: الحافظ المؤتمن بن أحمد بن علي الساجي، يقولون: سمعنا جماعةً من المشايخ الثقات قالوا:

كان الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام الأئمة الذي طبق الأرض علمـًا وأصحابـًا إذا سعى إلى الجمعة من قَطِيعة الكَرْخ إلى جامع المنصور يدخل الرباط المعروف بالزوزي المحاذي للجامع، ويُقْبِلُ على من حضر ويقول: **«اشهدوا عليَّ بأنَّ القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، كما قال أحمد بن حنبل لا كما يقول**

---

(١) «طبقات الشافعيين» لابن كثير (١/ ٣٠٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٤٥).

الباقلاني»، وتكرَّر ذلك منه جُمُعات، فقيل له في ذلك!؟ فقال: «حتى ينتشرَ في الناس وفي أهل الصلاح، ويشيعَ الخبرُ في أهل البلاد؛ أني بريء مما هُم عليه -يعني الأشعرية-، وبريءٌ من مذهب أبي بكر الباقلاني، فإن جماعةً من المتفقهة الغرباء يدخلون على الباقلاني خُفيةً ويقرؤون عليه، فيُفتنون بمذهبِهِ، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتَهُم لا محالة، فيَظُنُّ ظانٌّ أنهم مِنِّي تعلَّموه قبلَهُ، وأنا ما قُلْتُهُ، وأنا بريء من مذهبِ الباقلاني وعقيدتِهِ» (١).

التاسع: الإمام العَلَمُ الشهير أبو القاسم هبةُ الله بن الحَسَن بن منصور الرَّازيُّ، المعروف باللَّالَكائيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤١٨هـ)، صاحب كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» والذي يُعَدُّ موسوعةً ثَرِيةً من أَنْفسِ الموسوعات التي أُلِّفت في عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (أحد أئمة أصحاب الشافعي) (٢).

العاشر: الإمام أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٧١هـ).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان رَحِمَهُ اللَّهُ من دعاة السنة وأعداء البدعة) (٣).

وهو صاحب «القصيدة الرائية في السنة»، وهي قصيدة نافعةٌ جداً، أسوقها هنا بتمامها:

تَـدَبَّـرْ كَـلامَ اللهِ واعْـتَمِـدِ الـخَـبَـرْ ... وَدَعْ عَـنْـكَ رَأْيـًا لاَ يُـلائِـمُـهُ أَثَـرْ
وَنَهْجَ الهُـدَى فَالْـزَمْهُ وَاقْتَدِ بِالأُلَى ... هُـمُ شَهِـدُوا التَّـنزِيلَ عَلَّكَ تَنْجَبِرْ
وكُـنْ مُـوقِـنـًا أَنَّـا وَكُـلَّ مُـكَـلَّـفٍ ... أُمِرْنَا بِقَفْوِ الحَقِّ والأَخْذِ بِالحَذَرْ

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام (٢/ ٩٦).

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم (٢/ ١٩٨).

(٣) «العلو للعلي الغفار» للذهبي (ص٢٦٠).

وَحُكْمَ فِيمَا بَيْنَنَا قَوْلُ مَالِكٍ ... قَدِيمٍ حَلِيمٍ عَالِمِ الغَيْبِ مُقْتَدِرْ
سَمِيعٍ بَصِيرٍ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ ... مُرِيدٍ لِمَا يَجْرِي عَلَى الخَلْقِ مِن قَدَرْ
وَقَوْلُ رَسُولٍ قَدْ تَحَقَّقَ صِدْقُهُ ... بِمَا جَاءَهُ مِنْ مُعْجِزٍ قَاهِرٍ ظَهَرْ
فَقِيلَ لَنَا رُدُّوا إِلَى اللهِ أَمْرَكُمْ ... إِذَا مَا تَنَازَعْتُمْ لِتَنْجُوا مِنَ الْغَرَرْ
أَوْ اتَّبِعُوا مَا سَنَّ فِيهِ مُحَمَّدٌ ... فَطَاعَتُهُ تُرْضِي الَّذِي أَنْزَلَ الزُّبُرْ
فَمَنْ خَالَفَ الوَحْيَ الْمُبِينَ بِعَقْلِهِ ... فَذَاكَ امْرُؤٌ قَدْ خَابَ حَقًّا وَقَدْ خَسِرْ
وَفِي تَرْكِ أَمْرِ المُصْطَفَى فِتْنَةٌ فَذَرْ ... خِلَافَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ وَاتْلُ وَاعْتَبِرْ
وَمَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصَّحَابَةُ حُجَّةٌ ... وَتِلْكَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَنْ سَبَرْ
وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِمْ مُتَعَارَفًا ... وَجَاءَ بِهِ مَن بَعْدَهُمْ رُدَّ، بَلْ زُجِرْ
فَفِي الأَخْذِ بِالإِجْمَاعِ فَاعْلَمْ سَعَادَةٌ ... كَمَا فِي شُذُوذِ القَوْلِ نَوْعٌ مِنَ الْخَطَرْ
وَمُعْتَرِضٍ اتْرُكْ اعْتِمَادَ مَقَالِهِ ... يُفَارِقُ قَوْلَ التَّابِعِينَ وَمَن غَبَرْ
وَأَمْثَلُ أَهْلِ العِلْمِ فِينَا طَرِيقَةً ... وَأَغْزَرُهُمْ عِلْمًا مُقِيمٌ عَلَى الأَثَرْ
وَأَجْهَلُ مَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُعْجَبٌ ... بِخَاطِرِهِ يُصْغِي إِلَى كُلِّ مَنْ هَذَرْ
فَدَعْ عَنْكَ قَوْلَ النَّاسِ فِيمَا كُفِيتَهُ ... فَمَا فِي اسْتِمَاعِ الزَّيْغِ شَيْءٌ سِوَى الضَّرَرْ
لَقَدْ أَوْضَحَ اللهُ الكَرِيمُ بِلُطْفِهِ ... لَنَا الأَمْرَ فِي القُرْآنِ فَانْهَضْ بِمَا أَمَرْ
وَخَلَّفَ فِينَا سُنَّةً نَقْتَدِي بِهَا ... مُحَمَّدٌ المَبْعُوثُ عَوْنًا إِلَى البَشَرْ
وَمَنَّ عَلَى المَأْمُورِ بِالعَقْلِ آلَةً ... بِهَا يَعْرِفُ المُتْلَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعِبَرْ
فَلَا تَكُ بِدْعِيًّا تَزُوغُ عَنِ الْهُدَى ... وَتُحْدِثُ فَالإِحْدَاثُ يُدْنِي إِلَى سَقَرْ
وَلَا تَجْلِسَنْ عِنْدَ المُجَادِلِ سَاعَةً ... فَعَنْهُ رَسُولُ اللهِ مِنْ قَبْلُ قَدْ زَجَرْ
وَمَنْ رَدَّ أَخْبَارَ النَّبِيِّ مُقَدِّمًا ... لِخَاطِرِهِ ذَاكَ امْرُؤٌ مَالَهُ بَصَرْ

وَلاَ تَسْمَعَنْ دَاعِي الكَلاَمِ فَإِنَّهُ ... عَدُوٌّ لِهَذَا الدِّينِ عَنْ حَمْلِهِ حَسَرْ
وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَبْدَعُوا وَتَنَطَّعُوا ... وَجَازُوا حُدُودَ الحَقِّ بِالإِفْكِ وَالأَشَرْ
وَخُذْ وَصْفَهُمْ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ إِنَّهُ ... شَدِيدٌ عَلَيْهِمْ لِلَّذِي مِنْهُمُ خَبَرْ
وَقَدْ عَدَّهُمْ سَبْعِينَ صِنْفًا نَبِيُّنَا ... وَصِنْفَيْنِ كُلٌّ مُحْدِثٌ زَائِغٌ ذَعِرْ
فَبِالرِّفْضِ مَنْسُوبٌ إِلَى الشِّرْكِ عَادِلٌ ... عَنِ الْحَقِّ ذُو بُهْتٍ عَلَى اللهِ وَالنُّذُرْ
وَعَقْدِي صَحِيحٌ فِي الْخَوَارِجِ أَنَّهُمْ ... كِلاَبٌ تَعَاوَى فِي ضَلاَلٍ وَفِي سُعُرْ
وَيُورِدُهُمْ مَا أَحْدَثُوا مِنْ مَقَالِهِمْ ... لَظًى ذَاتَ لَهْبٍ لاَ تُبَقِّي وَلاَ تَذَرْ
وَأَبْرَأُ مِنْ صِنْفَيْنِ قَدْ لُعِنَا مَعًا ... فَذَا أَظْهَرَ الإِرْجَا وَذَا أَنْكَرَ القَدَرْ
وَمَا قَالَهُ جَهْمٌ فَحَقًّا ضَلاَلَةٌ ... وَبِشْرٌ فَمَا أَبْدَاهُ جَهْلاً قَدْ انْتَشَرْ
وَجَعْدٌ فَقَدْ أَرْدَاهُ خُبْثُ مَقَالِهِ ... وَأَمَّا ابْنُ كُلاَّبٍ فَأَقْبِحْ بِمَا ذَكَرْ
وَجَاءَ ابْنُ كَرَّامٍ بِهُجْرٍ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ قَدَمٌ فِي العِلْمِ لَكِنَّهُ جَسَرْ
وَسَقَّفَ هَذَا الأَشْعَرِيُّ كَلاَمَهُ ... وَأَرْبَى عَلَى مَن قَبْلَهُ مِنْ ذَوِي الدَّبَرْ
فَمَا قَالَهُ قَدْ بَانَ لِلْحَقِّ ظَاهِراً ... وَمَا فِي الهُدَى عَمْداً لِمَنْ مَازَ وَادَّكَرْ
يُكَفِّرُ هَذَا ذَاكَ فِيمَا يَقُولُهُ ... وَيَذْكُرُ ذَا عَنْهُ الَّذِي عِنْدَهُ ذُكِرْ
وَبِالعَقْلِ فِيمَا يَزْعُمُونَ تَبَايَنُوا ... وَكُلُّهُمُ قَدْ فَارَقَ العَقْلَ لَوْ شَعَرْ
فَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَبْدَعُوا وَتَنَطَّعُوا ... وَلاَزِمْ طَرِيقَ الحَقِّ وَالنَّصِّ وَاصْطَبِرْ
وَخُذْ مُقْتَضَى الآثَارِ وَالوَحْيِ فِي الَّذِي ... تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ الْفِقَرْ
فَمَا لِذَوِي التَّحْصِيلِ عُذْرٌ بِتَرْكِ مَا ... أَتَاهُ بِهِ جِبْرِيلُ فِي مُنْزَلِ السُّوَرْ
وَبَيَّنَ فَحْوَاهُ النَّبِيُّ بِشَرْحِهِ ... وَأَدَّى إِلَى الأَصْحَابِ مَا عَنْهُ قَدْ سُطِرْ
فَبِاللهِ تَوْفِيقِي وَآمُلُ عَفْوَهُ ... وَأَسْأَلُهُ حِفْظًا يَقِينِي مِنَ الغِيَرْ
لِأَسْعَدَ بِالفَوْزِ المُبِينِ مُسَابِقًا ... إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فِي صَالِحِ الزُّمَرْ

الحادي عشر: الإمام أبو المُظَفَّر منصور بن محمد السَّمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٨٩هـ).

قال ابن السُّبْكي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أحد أئمَّة الدُّنيا، الرفيعُ القَدْرِ، العَظِيمُ المحل، المَشهُورُ الذِّكر، أحد مَن طَبق الأَرض ذكرُهُ، وعَبِقَ الكَون نَشرُه)[١].

وقال الذهبي: (تَعصَّبَ لأَهل الحديثِ والسُّنةِ والجماعةِ، وكانَ شَوكـًا في أَعْيُنِ المُخالِفِين، وحُجَّةً لأَهلِ السُّنة)[٢].

وهو صاحب الكتاب النافع الثمين: «**الانتصار لأصحاب الحديث**»[٣]، وكتاب: «**قواطع الأدلة**».

الثاني عشر: الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البَغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٥١٦ هـ).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (تفسيرهُ شَجَى في حلوق المعطِّلة والجهمية)[٤].

وهو صاحب تفسير: «معالم التنزيل»، وكتاب: «شرح السنة».

الثالث عشر: الإمام أبو نُعَيم عبيد الله بن الحسن بن أحمد الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ (٥١٧هـ)، المعروف بابن الحدَّاد، له مؤلَّف مختصر في العقيدة نقله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية»[٥].

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٣٣٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ١١٤).

(٣) وهذا الكتاب مفقودٌ، إلا أنَّ تلميذَه قوام السنة إسماعيل التَّيمي رَحِمَهُ اللَّهُ نقل عنه كثيراً في كتابه «الحجة في بيان المحجة»، وكذا نقل عنه شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيِّم رَحِمَهُمَا اللَّهُ وغيرهم.

(٤) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٩٩).

(٥) المصدر السابق (٢/ ١٧٥).

الرابع عشر: **الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكَرْجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(٥٣٢هـ)**، له كتابٌ قيِّمٌ ستأتي الإشارة إليه، وله منظومة في العقيدة تزيد على مائتي بيت، نقل الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ طرفًا منها في كتابه «العلو»، قال في مطلعها[1]:

وأفضل زادٍ للمعادِ عقيدةٌ ... على منهجٍ في الصدق والصبر لاحبِ
عقيدة أصحابِ الحديث فقد سمتْ ... بأرباب دين الله أسنى المراتب
عقائدُهم أنَّ الإلهَ بذاتِهِ ... على عرشِهِ مع عِلْمِهِ بالغَوائبِ
وأنَّ استواءَ الله يُعقلُ كونُهُ ... ويُجهلُ فيه الكَيْفُ جهلَ الشهاربِ

الخامس عشر: **الإمام قوام السُّنة إسماعيل بن محمد التيمي الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(٥٣٥هـ)** صاحب كتاب «الترغيب والترهيب»، وصاحب كتاب «الحجة في بيان المحجة»، وهذا كتاب مهمٌ للغاية في العقيدة، فيه من الدرر والنفائس ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، وأشار إلى سببِ تأليفه له في مقدمته فقال:

«حينَ رأيتُ قوام الإسلام بالتَّمسك بالسنة، ورأيتُ البدعةَ قد كَثُرتْ، والوقيعةَ في أهل السنة قد فَشَتْ، ورأيت اتباعَ السنة عند قومٍ نقيصَةً، والخوضَ في الكلام درجةً رفيعةً، رأيتُ أن أُمليَ كتابًا في السنة يعتمد عليه من قَصَدَ الاتباع، وجانب الابتداع، وأُبَيِّنُ فيه اعتقاد أئمة السلف، وأهل السنةِ في الأمصار، والراسخين في العلمِ في الأقطارِ، ليلزَمَ المرءُ اتباعَ الأئمةِ الماضين، ويُجَانِبَ طريقةَ المُبتدعِين، ويكون من صالحي الخَلَفِ لصالحي السلف»[2].

---

(١) «العلو للعلي الغفار» للذهبي (ص٢٦٣).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٩٤).

السادس عشر: **الإمام أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السَّلماسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(٥٥٠هـ)**، وسيأتي ذكرُ كتابِهِ «منازل الأئمة الأربعة»، وكلامُهُ في مقدمته.

السابع عشر: **الإمام أبو الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(٥٥٨هـ)**، فقيه الشافعية في بلاد اليمن، صاحب كتاب «الانتصار في الرد على القدرية الأشرار».

الثامن عشر: **مَجْدُ الدين أبو الفضائل يوسف بن محمد الدمشقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٨٥هـ)، له قصيدة في السنة يقول في مطلَعِها:

تعالى الإلهُ الواحدُ الصمدُ الفردُ ... له علمُ ما يخفى من العَبْدِ أو يبدو
هو الأولُّ المُبْدي فليس له نِدُّ ... هو الآخر المغني له القَبْلُ والبَعْدُ
إلـهٌ برانا ليسَ نعبدُ غيرَهُ ... وحقُّ باري الخلقِ أن يَعْبُدَ العَبْدُ

التاسع عشر: **الشيخ عبد القاهر بن عبد الواحد بن محمد التِّبْريزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٤٠هـ)، وهو من شيوخ الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونقل عنه قصيدةً جزلةً بديعةً في السنة، قال:

كم بين بانِ الأَجْرعِ ورَامَةٍ وَلَعْلَعِ ... من قلب صَبٍّ مُوجَع سكران وجدٍ لا يعي
تراهُ ما بين الحُلَل جَريحَ أَسْيافِ المقَل ... فارفِـقْ به ولا تَسَـلْ عن قلبه المضيَّعِ
وَدَّ الحِمى فأخْلَصَا إذ حقُّهُ قد حَصْحَصَا ... فَوِدُّه أن يَخْلُصا مِن الحضيض الأَوْضَع
إلى المقام الأوَّلِ ومعهد الأُنْس الحلي ... والمرْبَع السَّامي العلي سُقْياً له من مَرْبَعِ
رَحَلْتُ عن ذاك الفَضَا لا باختيارِي والرِّضا ... فيا زمَانَـاً قدْ مضى إنْ عاد ماضٍ فارْجعِ
واركعْ إذا اللَّيلُ دَجى رُكُوعَ خَوْفٍ ورَجا ... وَعدِّ في سُفُنِ النَّجا إلى الفضاء الأَوْسَعِ
علَيْك بالتَّـهَجُدِ وَقُمْ طويلاً واسْجُدِ ... وَبِتْ نَديم الفَرْقَدِ وَاشْرَبْ كؤوس الأدْمُعِ
قِفْ عند حُكْم المصحفِ من غير ما تحرُّفِ ... ولا تَخُضْ وَقَعْتَ في أقوال أهل البدَعِ

فـإنَّـه كـلامُهُ أعْـيـى الـورى نِـظـامُـه وبَهَرتْ أحكامُه الغُرُّ جميع الشِّيَع
منه كما جاء بدا فكن به مُعْتَضِدا ولا تُجادلْ أحداً في آية وارْتَدعِ
ولا تؤوِّلْ ما وردْ لله من سمع ويَدْ وقُلْ هو الله أحد قوْلَ امْرِئ مُتَّبعِ
وإنَّه عزَّ وجلَّ كلَّم موسى ذا الوَجَلْ لما تَجَلَّى للجبل جَهْراً كلاماً مُسْمِعِ
أصْغَى إليه فوعَى بأُذْنِه ما سَمِعا ثم أجاب مُسْرعًا جَوابَ ثَبْتٍ أَرْوعِ
ولا تُوافِقْ مَنْ غَوَى وقُلْ بأنَّ ذا القُوَى حقًّا على العرش اسْتوى كما أراد فَاسْمع
وهْوَ تَعالى في السَّما عالٍ ومَعنا أينما بغير كيف لا كما يَخطُرُ للمبتدَعِ
مَنْ قاسَهُ من البشر بِخَلْقه فقد كفر وقد أَطاعَ ونَصَر أَمْر الهوى المتَّبعِ
وَيْلاهُ من وزن العمل وبَحرُه عندي وشِل قد غاضَ طاميه وقَل فما ترى في مَنْبَعِ
واعترضَتْ جهَنَّمُ ونارُها تَضْطَرِمُ وكُبَّ فيها المجرمُ وقيل: يا نارُ ابْلعي
وجنَّةُ الفردوسِ قد تَزَخْرفت لمن عبد وقامَ ليلاً وسجد في طمْرِه المرقَّعِ
ونُهدتْ أبْكارُها واطَّردتْ أنهارها وغرَّدتْ أَطْيارُها في كُلِّ غُصْنٍ مُونَعِ
يا مَنْ له تَبَتُّلِ في كُلِّ ليلٍ أَلْيَلِ ومَن إليه مَوْئلي دون الورى ومَفْزَعِ
صَلِّ على خير البشر من كل أنثى وذكر محمَّدٍ وجه القمر ذي الجانب الممنَّعِ

العشرون: **الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ **(٧٤٨هـ)**، صاحب كتاب «**العلو للعلي الغفار**»، وغيرها من الرسائل النافعة في العقيدة.

الحادي والعشرون: **الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٧٤هـ)، صاحب التفسير المشهور، وكتاب «البداية والنهاية» .

الثاني والعشرون: **الإمام أحمد بن علي المقريزي المصري** رَحِمَهُ اللَّهُ **(٨٤٥هـ)**، صاحب كتاب «تجريد التوحيد المفيد».

في آخرين من علماء الشافعية، الذين ساروا على عقيدة هذا الإمام الجليل وترسَّموا خُطاه رَحِمَهُمُاللهُ وخُطا مَن سبقَهُ من الصحابة والتابعين.

بينما هناكَ أقوامٌ جاؤوا بعدَ الإمام الشافعيِّ رَحِمَهُ اللهُ انتسبوا لمذهبه في العبادات، ولكنَّهم خالفوه في العقيدة وأصول الديانة، وافتُتِنوا بعلم الكلام، وكان على رأسهم ابنُ كُلَّاب فإنه لم يوافق الشافعيَّ رَحِمَهُ اللهُ في عقيدته، وأتى ببدعةٍ خالف فيها عقيدَةَ أهل السنة، وأدخلها في أوساط المنتسبين لمذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فتابعه على ذلك تلميذُهُ أبو الحسن الأشعري(١)، وتأثر بهذه البدعة جماعةٌ منهم أبو المعالي الجويني، وأبو حامد الغزالي، وآخرون(٢)، فترتَّبَ على ذلك نشوء مدارس كلاميَّة؛ تقدِّم العقل

---

(١) وقد أبان الله تعالى لأبي الحسن الأشعري الجادة، وهداه إلى الحق، وترك في آخر أمره ما عليه أهل الكلام، وانتصرَ لمذهب أهل السنة والجماعة، وصرح بذلك فقال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الإبانة »(ص٥٣):

«فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قولَ المعتزلة والقدرية والجهمية والحلولية والرافضة والمرجئة، فعَرِّفونا قولَكُم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسكُ بكتاب ربنا عَزَّ وَجَلَّ، وسنة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل نضَّر اللهُ وجهَهُ ورفعَ درجتَهُ، وأَجْزَلَ مثوبتَه...».

(٢) ومن هؤلاء من تبين له فيما بعد فساد علم الكلام وذمَّهُ، وبيَّن عظيم خطره على عقائد المسلمين، وأنَّ الوصول إلى الحق والهدى من طريق الكلام مسدود، كما قال فخر الدين الرازي رَحِمَهُ اللهُ: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾، ثم قال: «**ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي**».

وقال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «فاسمع هذا ممن خَبَرَ الكلام، ثم قالَهُ بعد حقيقة الخِبْرَة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر سوى نوع الكلام، **وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود**».

على النقل، وانشغلتْ بتأويل النصوص، ورد الأدلة بطرائق ملتوية، وقعَّدوا في ذلك قواعد ، كقولِ أحدِهِم في منظومة له في الاعتقاد:

وكلُّ نصٍّ أوهم التَّشبيها   أَوِّلْهُ أو فوِّض ورُمْ تنْزيهـا

حتى وُجد في بعض الشافعية من يقول عن نفسه: (الشافعي مذهبًا، القادري مسلكًا، الأشعري عقيدةً !)، وكأنه لم يرتضِ عقيدة الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ومسلكه ، فانتسب في عقيدته لأبي الحسن الأشعري، وفي المسلك للطريقة الصوفية القادريَّة!

وكلُّ هذه المدارس وهذه الأقاويل المبتدعة لم يقل بها الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم يقل بها المزني، ولم تكن موجودة عند الأئمة الآخرين، وإنما نشأت بسبب علم الكلام والفلسفة، ثم نسبت بعد ذلك للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وأئمة الشافعية وهم منها براء.

بل كان الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ حربًا على البدع وأهلها، ومن أشدِّ الناس نهيًا عنها، ومن أقوالِهِ في ذلك: (حُكْمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحمَلوا على الإبل، ويُطاف بهم في العَشائرِ والقبائل، ويُنادَى عليهم: هذا جزاءُ من تركَ الكتاب والسنة، وأقبلَ على الكلام)، وقال: (من ارتدى بالكلام لم يفلح)[1] .

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَن يتكلم في الله وأسمائه وصفاته بما يُخالف الكتاب والسنة فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل، وكثيرٌ من هؤلاء يَنْسِبُ إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه؛ فينسبون إلى الشافعي وأحمد بن حنبل ومالك وأبي

وقد نقل ابن أبي العز هذا الرجوع عن غير مَن تقدَّم كالشهرستاني، وأبي المعالي الجويني، وغيرهما. انظر « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز (١/ ٢٣٨).

(١) أخرجها البيهقي في «مناقب الشافعي» بسنده (١/ ٤٦٢ - ٤٦٣).

حنيفة من الاعتقادات ما لم يقولوا، ويقولون لمن اتبعهم: هذا اعتقاد الإمام الفلاني؛ فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة تبين كَذِبُهم) (١).

ويقول شيخ الإسلام أيضاً: (الشافعي من أعظم الناس ذمَّاً لأهل الكلام ولأهل التغبير، ونهياً عن ذلك، وجعلاً له من البدع الخارجة عن السنة، **ثم إن كثيراً من أصحابه عكسوا الأمر حتى جعلوا الكلام الذي ذمَّهُ الشافعيُّ هو السنة وأصول الدين الذي يجب اعتقاده وموالاة أهله**، وجعلوا موجبَ الكتاب والسنة الذي مدحَهُ الشافعيُّ هو البدعة التي يُعاقَبُ أهلُها!) (٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها، لا سيما وكثير منهم قد تلبَّس ببعض المقالات الأصولية وخلط هذا بهذا؛ فالحنبلي والشافعي والمالكي يَخْلِط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئاً من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك، ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكَرَّامِيَّة والكُلَّابية ويُضِيفه إلى مذهب أبي حنيفة) (٣).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق ذكرِهِ للمناظرة التي حدثت له مع المتكلمين بما يتعلق بكتابه «العقيدة الواسطية»: (ما من إمامٍ إلا وقد انتَسَبَ إليه أقوامٌ هو منهم بريء؛ قد انتسب إلى مالك أناسٌ مالكٌ بريء منهم، وانتَسَبَ إلى الشافعيِّ أناسٌ هو بريء منهم، وانتسبَ إلى أبي حَنِيفة أناسٌ هو بريء منهم، وقد انتسبَ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أناس هو منهم بريء، وانتسب إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أناس هو منهم بريء) (٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٦١).

(٢) «الاستقامة» (١/ ١٥)

(٣) «منهاج السنة» (٥/ ٢٦١)

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٨٥).

وفيما تقدَّم بيانٌ ظاهرٌ أن مجرد الانتساب وحده لا يكفي، بل لا بد من الموافقة الحقيقية لما كان عليه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرُهُ من أئمة الدين.

وهذه بعض النقول عن أعيان من علماء الشافعية الذين انتَدَبوا لعلاج هذه المشكلة؛ وهي الانتساب للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في العبادات والفروع دون العقائد والأصول:

❋ فمن هؤلاء العلماء الذين أنكروا ذلك: **الإمامُ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكَرْجي** رَحِمَهُ اللَّهُ توفي سنة (٥٣٢ هـ)، -وقد تقدَّم ذكره آنفًا- فإنه صنَّف العديد من المؤلفات والكتب النافعة، وله كتابٌ نافعٌ أيضًا في الاعتقاد مفقودٌ، عُنوانُهُ: «**الفُصولُ في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البِدع والفُضُول**»، (ذكر فيه من كلام الشافعي، ومالك، والثوري، وأحمد ابن حنبل، والبخاري -صاحب الصحيح-، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، في أصول السنة ما يُعْرَفُ به اعتقادهم، وذَكَرَ في تراجمهم ما فيه تنبيه على مراتبِهِم ومكانتهم في الإسلام، وذكر أنه اقتصر في النقل عنهم -دون غيرهم-؛ لأنهم هم المقتدى بهم؛ والمرجوعُ شرقًا وغربًا إلى مذاهبهم)(١).

وذكرَ العلامةُ الكرجيُّ وجهًا آخر لسبب اقتصاره في باب الاعتقاد على هؤلاء الأئمة الذين تقدَّمَ ذِكرهم، فقال: (ووجْهٌ ثالثٌ لابدَّ من أن نُبَيِّن فيه فنقول: إن في النقلِ عن هؤلاء إلزامًا للحُجَّة على كلِّ من يَنْتَحِلُ مذهبَ إمامٍ يُخَالِفُهُ في العقيدة، فإن أحدهما لا مَحَالة يُضَلِّلُ صاحبَهُ أو يُبَدِّعُهُ أو يُكفرِّهُ، فانْتِحال مذهبِهِ -مع مخالفتِهِ له في العقيدة- مُسْتَنكَرٌ والله شرعًا وطبعًا.

---

(١) «نقض المنطق» لشيخ الإسلام (ص١٤٣-١٤٤).

فمن قال: (أنا شافعيُّ الشرع، أشعريُّ الاعتقاد)، قلنا له: هذا من الأَضْدَاد، لا بل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعيُّ أشعريَّ الاعتقاد.

ومن قال: (أنا حَنبليٌّ في الفُرُوع، مُعْتَزِليٌّ في الأصول) قلنا: قد ضللت إذاً عن سواءِ السبيل فيما تزعمه؛ إذ لم يكن أحمدُ مُعْتَزِليَّ الدين والاجتهاد.

وقد افتُتِنَ أيضًا خلقٌ من المالكية بمذاهب الأَشْعَرية، وهذه والله سُبَّةٌ وعارٌ وفَلْتَةٌ تعودُ بالوَبالِ والنَّكال وسوء الدار على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار)[1].

❁ ومِن علماء الشافعيَّةِ أيضًا: **أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السَّلماسي** رَحِمَهُ اللهُ توفي سنة (٥٥٠هـ) -يُنْسَبُ إلى مدينة سلماس مِن مُدُنِ أذربيجان، وقد تقدَّم ذكره- له كتابٌ قَيِّمٌ في هذا الباب بعنوان: «منازل الأئمة الأربعة» ذَكَرَ فيه تراجم الأئمة الأربعة، وأوردَ نقولاً عديدة عنهم في أبواب الاعتقاد، ونصَّ في تقدمة كتابِهِ أَنَّهُ جمع هذه النقول ردًّا على الذين وقع منهم هذا الخلط والانحراف في أصول الديانة، فقال رَحِمَهُ اللهُ في بيان حالهم:

(ثم يُثِيرون الفتنَ بين العوام، ويُوقِعُون الخلافَ بين الأَنام، بتَحريفِ مقالاتِ أَربابِ المذاهب، وأصحاب المناصب، ويُخيِّلون إِلَيهم أنَّ بينَ الأئمةِ وفقهاءِ الأُمَّة خلافًا في المعتقد والأصول، يَطْلُبونَ بذلك إثارة الفُضُول، طَلَبًا للتقدُّمِ والرِّئاسَةِ، وادعاءً للفهمِ والكَياسَة، وتَنافُسًا على ازْدِحام الجُهَّال عليهم، وتَسَوُّقًا عندهم لاجْتِذابِ ما لَدَيهم، حتى تَشَوَّشَتْ قلوبُ العَوام، ووَقَعَ بينهم الخلاف، بل القتالُ بما يُورِدُونَهُ من زخارف الكلام، **وصارت طوائفُ الأنام مِنَ المُتَّبِعينَ في الفروع**

(١) المصدر السابق (ص١٤٤-١٤٥).

مذاهبَ الأئمةِ الأعلام، الفقهاء السَّادة الكِرَام، يلعنُ في الاعتقاد بعضُهُم بعضـًا، ويُبْدِي كُلُّ واحدٍ لصاحبهِ عداوةً وبُغضـًا، ظَنـًا منهم أنهم اختلفوا في الأصول حسب اختلافهم في الفروع، لِقِلَّةِ معرفتهم بأحوالِهم، وعَدَمِ الوقوفِ على أقوالِهم، لم يقرؤوا العلمَ على انتقاد، ولم يطالعوا تصنيفَ الجهابذةِ العارفين بالانتقاد، بل تلقَّفوا من أفواهِ بعضِ المُبْتدِعَةِ كَذِبـًا وباطلاً، وطالعوا من تصانيفهم ما يصيرُ الإنسانُ به عن الصراط السَّوِيِّ عادِلاً، ولم يعلموا أن الخلافَ في التوحيدِ يُؤَدي إلى الكفرِ والتَّلحيد، إنما الخلاف المحمود في فروع الشَّرع وفُصُولِهِ، لا في قواعدِ أَحكامِهِ وأُصولِهِ.

والفقهاءُ الأئمةُ الذين اشتُهر عنهم في الفروع الاختيار، وظهر لهم الاجتهاد والاختبار، وكثر لهم الأَتباعُ والأَشْياعُ، وحُقَّ على العوام لهم الاتباع، وتَعَطَّر بذِكْرهم الأَقطارُ والأَصقاعُ، وبرَّزَ في تَمْهيدِ أقوالِهم الأصحابُ من الحواضِرِ والبَوادي، وانعَمَرتْ بمناظراتهم المجالسُ والنواديُ: **أربعة**؛ أبو حنيفة بالكوفة، ومالك بدار الهجرة، والشافعيُّ بمكة حَرَمِ الله، وأحمد بمدينةِ السَّلام، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجَعَل الجنةَ مُنْقَلبَهم ومَثْواهم، فهم وإن اختلفت عنهم العبارات، **فقد اتفقت منهم الاعتقادات**، كلُّ واحدٍ منهم مُزكي الأُمة، وإمامُ الأئمة، مُحْكَمٌ تَعديلُهُ وجَرحُهُ، مُسَلَّمٌ قبولُهُ وطَرْحُهُ، لا يخالفُ أحدُهُم صاحِبَهُ إلا في فروعٍ مُخْتَلَفٌ فيها، ولا يُفَسِّقُهُ ولا يُغويه؛ مثل لقطة الحرام، وتوريث ذوي الأرحام.

فأما الكلام في صفات ذي الجَلال والإكرام، وما يَتعلَّق بأسمائه الحسنى وصفاته المباينة لصفات الأنام، فلا خلاف في ذلك بينهم، ولا يُؤْثَرُ تفرُّقٌ عنهم يُوجِبُ كَذِبَهُم ومَيْنَهم، بل كَلِمَتُهم فيها مُتَّفِقة، وأقوالُهُم مُتَّسِقَةٌ، سلكوا سبيل الاتباع دون الابتداع، فيما نقلوا عن رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، ورَوَوْا وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟

بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾...)(١).

وهناك عددٌ من العلماء المنتسبين لمذهب الإمام الشافعي رحمه الله اشتهروا بخدمة السنة، ونصرة عقيدة السلف، كالحافظ النووي، والحافظ ابن حجر، والبِقاعي وغيرهم رحمهم الله تعالى، لكنَّهم ابتُلوا بشيءٍ مِن علم الكلام أوقعهم في شيء من الاضطراب والتذبذب في بعض مسائل التوحيد والعقيدة، وسبب ذلك نشأتهم في بيئة انتشرَ فيها علم الكلام، ونسأل الله العفوَ عنَّا وعنهم.

على أنَّ مِن هؤلاء مَن رجع إلى مُعتقد أهل السنة كالنووي رحمه الله، كما في جُزءٍ له مطبوع في مسألة الكلام لله سبحانه وتعالى؛ حيث صرَّحَ فيها بإثبات الصفات على نهجِ السلف، وردَّ على الأشاعرة ما قالوه في كلام الله عز وجل.

وممَّا ورد فيه قوله رحمه الله: «ونحن من ديننا التمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث المشهورين، **ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نزيد على ذلك شيئًا، ولا ننقص منه شيئًا**، كحديث قصة الدجال، وقوله فيه: «**وإن ربكم ليس بأعور**»، وكحديث النزول إلى السماء الدنيا، وكحديث الاستواء على العرش، وإن القلوب بين إصبعين من أصابعه، وإنه يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، ونقول بتصديق حديث المعراج، وبصحيح ما فيه من الروايات، ونَدين أن الله مُقَلِّبُ القلوب.

وما أشبه هذه الأحاديث جميعها كما جاءت بها الرواية من غير كشف عن تأويلها، وأن نُمِرَّها كما جاءت.

وأن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) «منازل الأئمة الأربعة» (ص٥٤-٥٥).

ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وإن الله يَقْرُب من عباده كيف يشاء لقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

وأشباه ذلك من آيات الصفات، ولا نتأولها، ولا نكشف عنها، بل نكف عن ذلك كما كف عنه السلف الصالح.

ونؤمن بأن الله على عرشه كما أخبر في كتابه العزيز ولا نقول هو في كل مكان، بل هو في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان، كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، وكما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

وكما جاء في حديث الإسراء إلى السماء السابعة: «**ثم دنا من ربه**».

وكما في حديث سوداء أُريدت أن تعتق، فقال لها النبي ﷺ: «**أين ربك؟**» فقالت: في السماء فقال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**».

وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة، نؤمن بذلك ولا نجحد شيئاً من ذلك.

وقد روت الثقات عن مالك بن أنس أن سائلاً سأله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، فقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

فيا إله السموات والأرضين، ويا خالق الخلق أجمعين، أنت المُطَّلِعُ على البواطن، وأنت الرقيب على كل خافق وساكن، أسألك أن تغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم»[١].

---

(١) «جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات» للنووي (ص٦٧-٦٩).

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله أيضـًا كلامـًا نفيسـًا عن الإمام أبي الـمُظفَّر السمعاني: «واستدل أبو المظفر بن السمعاني بآيات الباب وأحاديثه على فساد طريقة المتكلمين في تقسيم الأشياء إلى جسم وجوهر وعرض، قالوا: فالجسم ما اجتمع من الافتراق، والجوهر ما حمل العرض، والعرض مالا يقوم بنفسه، وجعلوا الروح من الأعراض، وردوا الأخبار في خلق الروح قبل الجسد، والعقل قبل الخلق، واعتمدوا على حدسهم، وما يؤدي إليه نظرهم، ثم يعرضون عليه النصوص؛ فما وافقه قَبِلُوه، وما خالفه ردوه، ثم ساق هذه الآيات ونظائرها من الأمر بالتبليغ.

قال: وكان ممَّا أُمِرَ بتبليغه التوحيد، بل هو أصل ما أمر به، فلم يترك شيئًا من أمور الدين -أصوله وقواعده وشرائعه- إلا بلَّغَهُ، ثم لم يَدَعِ إلا الاستدلال بما تمسَّكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرف واحد، فما فوقه فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم، وسلكوا غير سبيلهم بطريق محدث مخترع، لم يكن عليه رسول الله ﷺ، ولا أصحابه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العود على السلف بالطعن والقدح، ونسبتهم إلى قلة المعرفة، واشتباه الطرق.

فالحذر من الاشتغال بكلامهم، والاكتراث بمقالاتهم، فإنها سريعة التهافت، كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعُهُ لفرقة منهم إلا وتجد لخصومهم عليه كلامـًا يوازنه أو يقاربه، فكُلٌّ بكُلٍّ مُقابلٌ، وبعضٌ ببعضٍ مُعارَضٌ، وحسبُك من قبيحِ ما يلزم من طريقتهم أنا إذا جرينا على ما قالوه وألزمنا الناس بما ذكروه لزم من ذلك تكفير العوام جميعـًا؛ لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد، ولو عُرِضَ عليهم هذا الطريق ما فَهِمَهُ أكثرُهُم، فضلاً عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما

وجدوا عليه أئمتهم في عقائد الدين، والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة على وظائف العبادات، وملازمة الأذكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشبه والشكوك، فتراهم لا يحيدون عما اعتقدوه ولو قُطِّعُوا إرَبـًا إرَبـًا، فهنيئًا لهم هذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كفرَ هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمة فما هذا إلا طيُّ بِسَاطِ الإسلام، وهدمُ منارِ الدين والله المستعان» (١).

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٥٠٧).

ترجمة مختصرة للإمام المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمُهُ ونسبُهُ وكُنيتُهُ:

هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، من مُزَينة القبيلة المشهورة.

ولادتُهُ ووفاتهُ:

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٧٥هـ)، ونشأ في أُسْرَةٍ مُحِبَّةٍ للعلم، فابن أختِهِ الحافظ الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب كتاب «العقيدة الطحاوية» و«شرح مشكل الآثار»، وذكرَ العلماءُ أنَّ أُختَه كانت تحضر مجالس الإمام الشافعيِّ، ونقل عنها الرافعيُّ، وغيره.

توفي المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمصر سنة (٢٦٤هـ).

أبرز شيوخه:

- أبرزهم هو **الإمام محمد بن إدريس الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث لازمَهُ ملازمةً تامة، وتخرَّج به، وعكَف على كتبِهِ، حتى قال: (قرأتُ كتاب «الرسالة» للشافعي خمسمائة مرة، ما مِن مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة).

وقد أوصاه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند موته بوصيةٍ نافعةٍ جامعة؛ قال فيها: «اتق الله، ومَثِّل الآخرة في قلبك، واجعل الموت نُصْبَ عَيْنَيك، ولا تنس موقفك بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، وكن من الله تعالى على وَجَلٍ، واجتنب محارمَه، وأدِّ فرائضه، وكن مع الحقّ حيث كان، ولا تستصغرنَّ نِعَمَ الله عليك وإن قَلَّت، وقَابِلْها بالشكر» (١)، إلى آخر هذه الوصية.

- **وأخذ عن نُعيم بن حماد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- **وأصبغ بن نافع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- **وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- **ورَوح بن عبادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- **والربيع بن سليمان المرادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وغيرهم.**

ومن تلاميذِهِ:

- **الإمام أبو بكر بن خزيمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- **وابن أخته الإمام أبو جعفر الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **والحافظ زكريا الساجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- **وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وغيرهم.**

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه خلق من أهل العلم؛ قال ابن يونس رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو من أصحاب الشافعي-: (كانت له عبادة وفضل، ثقة في الحديث، لا يختلف فيه حاذقٌ من أهل الفقه،

---

(١) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٩٥).

وكان أحدَ الزُّهَّاد في الدنيا، وكان من خير خلق الله عَزَّوَجَلَّ، ومناقبه كثيرة)[١].

وقال عمرو بن عثمان المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما رأيتُ أحداً من المتعبِّدين في كثرة من لقيتُ منهم بمكة ممن هو مُقِيمٌ ومن قدم علينا في المواسم، ولا فيمن لقيتُ بالشام وسواحلها ورباطاتها والإسكندرية **أشدَّ اجتهاداً من المزني**، ولا أدوم على العبادة منه، ولا رأيت أحداً أشدَّ تعظيماً للعلم وأهله منه، وكان من أشدِّ الناس على نفسه في الوَرَع وأوسعِهِ في ذلك على الناس، وكان يقول: أنا خُلُق من أخلاق الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[٢].

وقال أبو سعيد بن السُّكَّري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رأيتُ المُزَني وما رأيتُ أعبدَ لله منه، ولا أتقنَ للفقه منه)[٣].

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان أعلمَ أصحابِ الشافعيِّ بالنظرِ، دقيقَ الفهم والفطنة، انتشرت كتبُهُ ومختصراته إلى أقطار الأرض شرقًا وغربًا وكان تقيًّا ورعًا دينًا صبوراً على الإقلال والتقشف)[٤].

مصنفاتهُ:

- «أحكام القرآن».
- «الترغيب في العلم».

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٢١٨).

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/ ٣٥٠-٣٥١).

(٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/ ٣٥١).

(٤) «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» لابن عبد البر (٢/ ٣٥١).

- «الجامع الكبير».

- «المبسوط في الفروع».

- «المختصر الكبير».

- «مختصر المختصر»، استغرق في تأليفه عشرين سنة.

- «شرحُ السنة»، وهو هذا الكتاب المشروح، **وسبب تأليف هذا الكتاب** هو ما ذكره عليٌّ بن عبد الله الحُلواني قال: (كنت بطرابلس المغرب فذكرتُ أنا وأصحاب لنا السنة، إلى أن ذكرنا أبا إبراهيم المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال بعض أصحابنا: بلغني أنه كان يتكلم في القرآن ويقف عنده، وذكر آخر أنه يقولُهُ، إلى أن اجتمع معنا قومٌ آخرون، فغَمَّ الناسَ ذلك غمـاً شديداً، فكتَبْنا إليهِ كِتاباً نريدُ أن نستَعْلِمَ منه، فكتبَ إلينا شرح السنة في القدر والإرجاء والقرآن والبعث والنشور والموازين فقال: ...) وساق هذه العقيدة المباركة تقريراً لعقيدة السلف وليدفعَ عن نفسهِ ما أُشيع عنه من مخالفة لها[1].

---

(١) انظر ترجمتَهُ في مقدمة كتاب: «شرح السنة» بتحقيق د. الشيخ جمال عزون، وقد أجاب المحقق عن هذه الفرية المنسوبة إلى هذا الإمام الجليل بإجابة وافية (ص٣٠).

نَصّ الرِّسَالة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَصَمَنا اللهُ وإياكُم بالتَّقْوى، ووَفَّقنا وإياكُم لِموافقةِ الهُدى، أَما بعدُ:

فإنك سأَلتَنِي أَن أُوضِّحَ لكَ من السُّنةِ أَمْراً تُصَبِّرُ نفسكَ على التَّمسكِ بهِ، وتَدْرأُ بِها عَنكَ شُبهَ الأقَاوِيل، وزَيغَ مُحدَثَاتِ الضالِّينَ، وقد شَرَحتُ لكَ مِنْهَاجًا مُوضِحًا، لَم آلُ نَفْسِي وإِيَّاكَ فيهِ نُصحًا، بَدَأْتُ فيهِ بِحَمدِ اللهِ ذي الرُّشدِ وَالتَّسدِيدِ.

الحَمدُ للهِ أَحَقُّ مَن ذُكِرَ، وَأَولى مَن شُكِرَ، وعَلِيهِ أُثْنِي: الواحِدُ الصَّمَد، لَيسَ لَهُ صَاحِبَةٌ ولا وَلَد، جَلَّ عَنِ المَثِيل، فَلا شَبِيهَ لَهُ وَلا عَدِيل، السَّمِيعُ البَصِير، العَلِيمُ الخَبِير، المَنِيعُ الرَّفِيع.

عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلمِهِ مِن خَلقِهِ.

أَحاطَ عِلمُهُ بِالأمور، وأَنفَذَ في خلقِهِ سابِقَ المَقدُور، ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾، فَالخَلقُ عامِلُونَ بِسابِقِ علمِهِ، ونافِذونَ لِمَا خَلَقَهُم لهُ مِن خَيرٍ وشَرٍّ، لا يملِكونَ لأنفُسِهم مِن الطاعَةِ نَفعًا، ولا يَجِدونَ إلى صَرفِ المعصِيَةِ عنها دَفعًا.

خَلَقَ الخَلقَ بِمَشيئَتِهِ عن غَيرِ حاجَةٍ كانت بِهِ، وخَلقَ المَلائِكةَ جَمِيعًا لِطَاعَتِهِ، وَجَبلَهُم عَلى عِبادتِهِ، فَمِنهُم مَلائِكَةٌ بِقُدرَتِهِ لِلعَرشِ حامِلُونَ، وطائِفَةٌ مِنهُم حَولَ عَرشِهِ يُسَبِّحُونَ، وآخَرُونَ بِحَمدِهِ يُقَدِّسُونَ، واصطَفَى مِنهُم رُسُلاً

إِلى رُسُلِهِ، وبَعضٌ مُدَبِّرونَ لأمرِهِ.

ثُمَّ خَلقَ آدمَ بِيدِهِ وأَسكَنهُ جَنَّتَهُ، وقَبلَ ذَلِكَ لِلأرضِ خَلقَهُ، ونَهاهُ عَن شَجَرَةٍ قَد نَفَذَ قَضاؤُهُ عَلَيهِ بِأَكلِها، ثُمَّ ابتلاهُ بِما نَهاهُ عَنهُ مِنها، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيهِ عَدُوَّهُ فأَغواهُ عَلَيها، وجَعلَ أَكلَهُ لها إِلى الأرضِ سَبَبًا، فما وجَدَ إِلى تَركِ أَكلِها سَبيلاً، ولا عَنهُ لها مَذهَباً.

ثُمَّ خَلقَ لِلجَنَّةِ مِن ذُرِيَّتِهِ أَهلاً، فَهم بِأَعمالِها بِمَشيئَتِهِ عامِلُونَ، وبِقُدْرَتِهِ وبِإِرادتِهِ يَنفُذُونَ، وخَلَقَ مِن ذُرِيَّتِهِ لِلنَّارِ أَهلاً، فَخَلقَ لَهُم أَعيُنًا لاَ يُبصِرونَ بِها، وآذانًا لا يَسمَعُونَ بِها، وقُلوبًا لا يَفقَهُونَ بِها، فَهُم بِذَلِكَ عَنِ الهُدى مَحْجوبونَ، وبِأَعْمالِ أَهلِ النَّارِ بِسابِقِ قَدَرِهِ يعملُونَ.

والإِيمانُ قَولٌ وعَمَلٌ، وهُما سِيان ونِظامانِ وقَرِينانَ لا نُفَرِّقُ بَينَهُما، لا إِيمانَ إِلا بِعَمَلٍ، ولا عَمَلَ إِلا بِإِيمانٍ، وَالمُؤمِنونَ في الإِيمانِ يَتَفاضَلونَ، وبِصالِحِ الأعمالِ هُم مُتَزايدُونَ، ولا يَخرُجونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الإِيمَانِ، ولا يَكفُرونَ بِرُكوبِ كَبِيرَةٍ ولا عِصيانٍ، ولا نُوجِبُ لِمُحسِنِهِم الجنانَ بَعدَ مَن أَوجَبَ لهُ النَّبِيُّ ﷺ، ولا نَشهَدُ عَلى مُسيئِهِم بِالنَّارِ.

والقُرآنُ كَلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ومِن لَدُنهُ، ولَيسَ بِمَخلُوقٍ فَيَبِيدُ.

وكَلِماتُ اللهِ وَقُدْرَةُ اللهِ ونَعتُهُ وصِفاتُهُ كامِلاتٌ غَيرُ مَخلوقاتٍ، دائِماتٌ أَزَلِيَّاتٌ، ولَيسَتْ بِمُحدَثاتٍ فَتبِيدُ، ولا كانَ رَبنا ناقِصًا فَيزِيدُ، جَلَّت صِفاتُهُ عَن شبه صِفاتِ المَخلوقينَ، وقَصرتْ عَنهُ فِطَنُ الواصِفينَ، قَرِيبٌ بِالإِجابَةِ عند

السُّؤال، بَعيدٌ بِالتَّعَزُّزِ لا يُنال، عالٍ على عَرشِهِ، بائِنٌ مِن خَلقِهِ، مَوجُودٌ ولَيسَ بِـمَعدوم ولا بِـمَفْقودٍ.

والـخَلقُ مَيِّتُون بِآجَالِـهِم عِندَ نَفادِ أَرزاقِهِم وانقِطاعِ آثارِهِم، ثُـمَّ هُم بعدَ الضَّغطَةِ فِي القُبُورِ مُساءَلُون، وبعدَ البِلى مَنشُورون، ويومَ القِيامَةِ إِلى رَبِّـهِم مَـحْشُورونَ، ولَدى العَرضِ عَلَيهِ مُـحاسَبونَ، بِـحَضرَةِ المَوازِينِ ونَـشْرِ صُحُفِ الدَّواوِينِ، أَحصاهُ اللهُ ونَسُوهُ، ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لَو كانَ غَيرُ اللهِ ﷻ الـحاكِمَ بَينَ خَلقِهِ، لـكِنَّهُ اللهُ يَـلِـي الـحُكمَ بَينَـهُم بِعَدلِـهِ بِـمِقدارِ القائِلَةِ فِي الـدُّنيا ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾، كما بَدَأَهُ لَـهُم مِن شَقاوَةٍ وسَعادَةٍ يَومَـئِذٍ يَعُودونَ، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

وأهل الجنَّة يَومئِذٍ فِي الجنَّة يتنعمون، وبِصُنُوف اللذَّات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يُحْبَرون، فهم حِينَئِذٍ إِلَى رَبهم ينظرُون، لا يمارون فِي النَّظر إِلَيهِ ولا يَشكُّونَ، فوجوهُهُم بكرامتِهِ ناضِرَة، وأعيُنُهم بفضله إِلَيهِ ناظرة، في نعيم دائِمٍ مُقيم ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

وَأهل الجحْد ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، و ﴿فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾.

خلا من شَاءَ الله من المُوَحِّدين إخراجهم مِنهَا.

والطَّاعةُ لأولِي الأمرِ فِيما كانَ عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَرضِيًا، واجتِنابُ ما كانَ عندَ اللهِ مُسْخِطًا، وتَركُ الخُروجِ عندَ تَعدِّيهِم وجَوْرِهِم، والتَّوبَةُ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَيما يَعطِف بِهِم عَلى رَعِيَّتِهِم.

والإِمساكُ عَن تَكفِير أَهلِ القِبلَةِ، والبراءَةِ مِنهُم فيما أَحدَثُوهُ ما لَم يَبتَدِعُوا ضَلالاً، فَمَنْ ابتَدَعَ مِنهُم ضَلالاً كانَ عَلى أَهلِ القِبلَةِ خارِجًا، ومِنَ الدِّينِ مارِقًا، ويُتَقَرَّبُ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بالبَراءَةِ منهُ، ويُهجَرُ ويُحْتَقَرُ، وتُجتَنَبُ غُدَّتُهُ؛ فهِيَ أَعدى مِن غُدَّةِ الجَرَبِ.

ويُقالُ بِفضلِ خَليفَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ أَبي بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهوَ أَفضَلُ الخَلقِ وأَخيَرُهِم بعدَ النَّبي ﷺ، ونُثَنِّي بعدَهُ بِالفارُوقِ وهو عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَهما وَزِيرا رَسولِ اللهِ ﷺ، وضَجِيعاهُ في قَبرِهِ، ونُثَلِّثُ بِذِي النُّورَينِ عُثمانَ بن عَفَّانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثُمَّ بِذي الفَضلِ والتُّقى عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم أجمَعينَ.

ثُمَّ الباقينَ منَ العشرةِ الذينَ أَوجَبَ لَهم رسولُ اللهِ ﷺ الجَنَّة، ونُخلِصُ لِكُلِّ رجلٍ مِنهُم مِنَ المَحبَّةِ بِقَدْرِ الذي أَوجَبَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ من التَّفضِيلِ، ثُمَّ لِسائِرِ أَصحابِهِ من بَعدِهِم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم أَجمَعينَ.

ويُقالُ بِفَضلِهِم، ويُذكَرُونَ بِمَحاسِنِ أَفعالِهِم، ونُمسِكُ عَنِ الخَوضِ فِيما شَجَرَ بَينهم، فَهُم خِيارُ أَهلِ الأَرضِ بعد نَبِيِّهِم، ارتَضاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ، وجعلهم أَنصارًا لِدِينهِ، فهم أَئِمَّةُ الدِّينِ وأَعلامُ المُسلِمينَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم أَجمَعينَ.

ولا نَترُكُ حُضُورَ الجُمُعةِ، وصلاتها مَعَ بَرِّ هذه الأمة وفاجِرِها لازِمٌ، ما كانَ

مِنَ البِدعَةِ بَريئًا، فإنِ ابْتَدَعَ ضَلالاً فَلا صَلاةَ خَلفَهُ، والجِهادُ مَعَ كُلِّ إمامٍ عَدلٍ أو جائِرٍ والحَجُّ.

وإقصارُ الصَّلاةِ فِي الأسفارِ، والتخييرُ فِيهِ بَين الصِّيامِ والإفطارِ في الأسفار، إن شاءَ صامَ وإن شاءَ أفطَرَ.

هَذِه مَقالاتٌ وأَفعالٌ اجتمَعَ عليها الماضُونَ الأوَّلُونَ مِن أئمَّةِ الهُدَى، وبِتَوفِيقِ اللهِ اعتصَمَ بِها التَّابِعُونَ قُدوَةً وَرِضًا، وجانَبوا التَّكَلُّفَ فيما كُفُوا، فَسُدِّدوا بِعَوْنِ اللهِ ووُفِّقُوا، لَم يَرغَبوا عَنِ الاتِّباع فَيُقَصِّرُوا، ولَم يُجاوِزوهُ تَزيُّداً فَيعتَدُوا، فنحنُ باللهِ واثقُون، وعليهِ مُتوكِّلُونَ، وإلَيهِ في اتِّباعِ آثارِهِم راغِبُونَ.

فَهَذا شَرحُ السُّنَّة تَحَرَّيتُ كَشفَها وأَوضَحتُها، فَمَن وفَّقَهُ اللهُ للقيامِ بِما أبَنْتُهُ مَعَ مَعُونَتِهِ لهُ بِالقِيامِ عَلى أَداءِ فَرائِضِهِ بِالاحتِياطِ في النَّجاسات، وإسْباغِ الطَّهارَةِ عَلى الطَّاعات، وأَداءِ الصَّلَواتِ عَلى الاستِطاعات، وإيتاءِ الزَّكاةِ عَلى أَهلِ الجدات، والحَجِّ عَلى أَهلِ الجدَةِ والاستِطاعات، وصِيامِ الشَّهرِ لِأَهلِ الصِّحات.

وخَمسُ صَلَواتٍ سَنَّها رسولُ اللهِ ﷺ مِن بَعدِ الصَّلوات: صَلاةُ الوِترِ في كُلِّ لَيلةٍ، ورَكعَتِي الفَجرِ، وصلاةِ الفِطرِ والنَّحرِ، وصلاةِ كُسوفِ الشَّمسِ والقَمَرِ إذا نَزَلَ، وصلاةِ الاستِسْقاءِ متى وَجَبَ.

واجتِنابُ المحارِمِ، والاحترازُ مِنَ النَّميمَةِ والكَذِبِ والغيبةِ والبَغي بِغيرِ الحَقِّ، وأَن يُقالَ على اللهِ ما لا يَعلَم، كُلُّ هذا كَبائِر مُحَرَّماتٌ .

والتَّحَرِّي في المَكاسِبِ والمَطاعِمِ والمَحارِمِ والمَشارِبِ والمَلابِسِ، واجتِنابُ الشَّهَواتِ فإِنَّها داعِيَةٌ لِركوبِ المُحَرَّماتِ، فَمَن رَعى حَولَ الحِمى فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَن يواقعَ الحِمَى.

فَمَن يُسِّرَ لِهذا فَإِنَّهُ مِن الدِّين عَلى هُدى، ومِنَ الرَّحمَةِ عَلى رَجا، ووَفَّقَنا اللهُ وإِيَّاك إلى سَبيلهِ الأقوم، بِمَنِّهِ الجَزيلِ الأقدَم، وجَلالِهِ العَلِيِّ الأكرَم .

والسَّلامُ عليكُم ورَحمَةُ اللهِ وبرَكاتُهُ، وعَلى مَن قَرَأَ عَلَينا السَّلام، ولا يَنالُ سَلامُ اللهِ الضَّالِّينَ، والحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ.

شَرحُ

الرِّسَالة

المتن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَصَمَنا اللهُ وإياكُم بالتَّقْوى، ووَفَّقنا وإياكُم لِموافقةِ الهُدى، أما بعدُ:

فإنك سألتَنِي أن أُوضِّحَ لكَ من السُّنةِ أمْرًا تُصبِّرُ نفسكَ على التَّمسكِ بهِ، وتَدْرأُ بِهِ عَنْكَ شُبهَ الأقَاويل، وزَيغَ مُحدَثَاتِ الضالِّينَ، وقد شَرَحتُ لكَ مِنْهَاجًا مُوضِحًا، لَم آلُ نَفْسِي وإيَّاكَ فيهِ نُصحًا، بَدَأْتُ فيهِ بِحَمدِ اللهِ ذي الرُّشدِ والتَّسدِيدِ.

الشَّرح

قوله (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): بدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة بالبسملة مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما قصد من تأليف هذه الرسالة المباركة، ومُقتديًا بالكتاب العزيز، وبهدي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والأنبياءِ من قبلِهِ في رسائلهم.

والباء في (**باسم**) للاستعانة، ومُتعلَّق الجار والمجرور هو فعلٌ محذوفٌ مؤخَّرٌ وتقديرُهُ يكون مناسبًا للمقام، فالتقدير في هذا المقام: (باسم الله أكتبُ).

وتضمنت البسملة ثلاثةً من أسماء الله الحسنى كلها دالة على كمال الرب جَلَّ جَلَالُهُ:

أوَّلها: (**الله**) وهو اسمٌ دالٌّ على كمال ألوهيَّتِهِ، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (الله: ذو الألوهية والعبودية على خلقِهِ أجمعين)[1].

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره «جامع البيان» (١/ ١٢١).

وقوله (**الرحمن الرحيم**): هذان الاسمان دالَّان على ثبوت صفة الرحمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأما (**الرحمن**) فهو دالٌ على قيامها به جَلَّ جَلَالُهُ، وأما (**الرحيم**) فهو دالٌ على تعلُّقها بالمرحومين كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾.

قوله (**عَصَمَنا اللهُ وإياكُم بالتَّقْوى**): استهلَّ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته بهذه الدعوة المباركة، **والعِصْمَةُ**: هي الوقايةُ والسلامةُ من الشُّرورِ والآفاتِ والأَهْواءِ والضلالات، وهي لا تنال إلا بالتقوى، وحظُّ الإنسان منها بحسبِ تقواهُ؛ فكلَّما زادت تقواه كان نصيبُهُ من العِصمة والسلامة أكبرُ وأوفرُ، لذا كان مِن دعاء النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **اللهم أَصلحْ لي دِينِيَ الذي هوَ عِصْمَةُ أَمرِي** »[١].

والتقوى: مأخوذَةٌ مِن الوِقاية، ومن أحسن ما قِيل في تعريفها قول طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قيل له: صِف لنا التقوى؟ فقال: (**التقوى**: عملٌ بطاعة الله، رجاءَ رحمةِ الله، على نور من الله، **والتقوى**: تركُ معصية الله، مخافة عقاب الله، على نور من الله)[٢].

وقد أثنى على هذا التعريف جماعة من العلماء منهم: ابنُ القيم[٣]، والذهبي[٤].

فتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ: هي فعل المأمور، وترك المحذور، وهذا الفعلُ والترك لابدَّ أن يكون عن نورٍ وعلمٍ، ليعرِفَ العبدُ ما يتَّقي، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾.

قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (كـان الناسُ يَسألونَ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الخيرِ، وكُنتُ أسألُهُ عنِ

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه »، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم : (٧٠٧٨).

(٢) أخرجه هناد بن السَّري في «الزهد» برقم: (٥٥٢)، وابن أبي شيبة في « الإيمان » برقم: (٩٩).

(٣) «الرسالة التبوكية» (ص١٣)، وعبارته: (هذا أحسنُ ما قيل في حَدِّ التقوى).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١)، وعبارته: (أبْدَعَ وأوجز رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

الشرِّ مخافةَ أَن يُدرِكَنِي)[١].

وقال بَكْرُ بن خُنَيْس رَحِمَهُ اللَّهُ: (كيف يكون مُتَّقِيًا مَن لا يدري ما يتقي؟)[٢].

ولهذا نجدُ أهلَ العلم صنَّفوا كُتبًا في بيان الشرك، والبِدَع، والكبائر، ليتعلَّمها العبدُ فيجتنبها، ويحذر منها، كما قيل:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ ... وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ منَ الناسِ يقعْ فيهِ[٣]

قوله (ووَفَّقنا وإياكُم لِموافقةِ الهُدى): مراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بالهدى: **السُّنة**، فإنها خيرُ الهُدى الذي أُمرنا باقتفائِه واتِّباعِهِ في أقوالنا وأفعالنا، وكان رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يبين ذلك في كلِّ جمعةٍ إذا خطبَ الناس فيقول: (**أما بعدُ: فإنَّ خَيرَ الحدِيثِ كِتابُ اللهِ، وخَير الهُدَى هُدَى محمدٍ ﷺ، وشَرُّ الأمورِ مُحدثاتُهَا، وكل بِدعَةٍ ضَلالَةٌ**)[٤].

وقال أيضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ما من نبيٍّ بعثَهُ الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أُمَّتِهِ حواريون وأصحاب؛ يأخذون بسنَّتِهِ، ويتقيدون بأمره، ثم إنها تَخْلُفُ من بَعْدِهم خُلُوف؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون...**»[٥].

وإنما يحصل الاتباع لهديِ نبينا الكريم ﷺ وسُنَّتِهِ بموافقته في الاعتقاد وفي العمل معًا، فمَن كان على السنة في باب العمل، ولكنَّه مخالفٌ للسنةِ في العقيدة لم يكن متَّبِعًا

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٦٦٧٣)، ومسلم رقم: (٤٨٩٠).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٤٠٢)

(٣) تُنسب هذه الأبيات لأبي فِراس الحمداني(٣٥٧هـ)، وهي في «ديوانه» المطبوع (ص٣٨٧).

(٤) رواه مسلم رقم: (٢٠٤٢).

(٥) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه»، كتاب: الإيمان، رقم: (٥٠).

لسنةِ النبي ﷺ حقَّ الاتباع، ولم يكن موافقـًا لهديه تمام الموافقة، حتى ينتهج السنة في الاعتقاد والعمل، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى الآية المتقدمة: «فَأَيُّ تَـقَدُّمٍ أبلغُ مِن تَقدِيم عقْلِهِ على ما جاء به؟! قال غير واحد من السلف –في بيان معنى الآية– : (لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر)، ومعلومٌ قطعـًا أنَّ مَن قَدَّم عقْلَهُ أو عَقْلَ غيرِهِ على ما جاء به فهو أَعْصَى الناس لهذا النَّبِيِّ، وأشدُّهم تَقَدُّمـًا بين يديه»[١].

قوله (أما بَعدُ): هذه كلمة يُؤتى بها عند الشروع في المقصود والدخول فيه.

قوله (فإنك سأَلتَنِي أَن أُوضِّحَ لكَ من السُّنَّةِ): أي من العقيدة، فإن العلماء يُطلقون على الكتب المصنفة في الاعتقاد وأصول الدين: (**السُّنَّة**)، ومِن ذلك كتاب: «السنة» لابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، و«شرح السنة» للبربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«صريح السنة» لابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وتُسمَّى الكتُبُ المصنَّفة في أصول الدين أيضـًا: (العقيدة) أو (الاعتقاد)، وهي مأخوذَةٌ مِن العَقْـد، لأن المسلمَ يعقدُ عليها قلبَهُ مِنَ دون شكٍّ أو ارتياب.

ومِمّا يدلُّ على هذه التسمية قولُ النبيِّ ﷺ: «**لا يعتقد قلبُ مُسْلِمٍ على ثلاثِ خصالٍ إلا دخل الجنة**»[٢]، وقد صَنَّفَ جماعةٌ من أهل العلم مصنَّفات في الاعتقاد عُرِفت بـ: «عقيدة فلان» باعتبار أنه جَمعَها، ورتَّبها، وجمع أدلَّتها، وآمن بها، بخلاف عقائد أهل البدع عندما تُضاف إليهم؛ فباعتبار أنهم اخترعوها وأنشؤوها.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٩٧)، وانظر: «إعلام الموقعين».

(٢) أخرجه الدارمي في «السنن» برقم: (٢٣٥).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس الاعتقاد لي، ولا لمن هو أكبر مني؛ بل الاعتقاد يُؤْخَذ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ورسولِهِ ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة)[1].

قوله (أَمرًا تُصبِّرُ نَفْسَكَ على التَّمَسُّكِ بِهِ): عبَّر المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: **(تُصبِّرُ)** ليُبيِّن أن العبدَ المسلمَ في خِضَمِّ تلاطم الفتن وكثرة الشبهات والشرور أحوج ما يكون للصبر على هذا الدين والسُّنة؛ وإنما يتحصَّلُ هذا التصبُّر بفعل الأسباب المعينة عليه، وفي مقدمة هذه الأسباب أمران:

- **الأمر الأول**: دعاءُ الله عَزَّ وَجَلَّ والإلحاح عليه بالتوفيق والعصمة من الفتن، وسؤاله الثبات على الدينِ والسنَّة.

ولهذا كان أكثر دعاء نبيِّنا الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يا مُقلِّبَ القلوبِ ثَبِّت قلبي على دِينك**»، فقالت أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: يا رسولَ الله أَوَ إِنَّ القلوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟! فقال ﷺ: «**نَعَمْ، إِنَّ القلوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِن أَصابعِ الرحمنِ يُقَلِّبُها كيف يَشاءُ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقامَهُ وإن شاءَ اللهُ أَزاغَهُ**»[2].

والأمر الثاني: دراسة كتب الاعتقاد التي ألفها عُلماءُ أهل السنة المبنيَّة على نصوصِ الوحيين وما أجمع عليه خيرُ القرون من الصحابة ومَن بعدهم، فإن دراسة هذه الكتب النافعة على أهل العلم، وحفظها، ثم سؤال أهل العلم عمَّا يُشكل **من أعظم الأسباب المعينة على التصبُّر على السُّنة**.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (٢٦٥٧٦) واللفظ له، والترمذيُّ في «الجامع»، رقم: (٣٥٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم: (٢٠٩١).

قوله (**وتَدرَأُ بِه عَنْكَ شُبهَ الأقَاوِيل**): فالشُّبهُ المُضِلَّة إن صادفتْ قلبًا خاليًا من الاعتقاد والإيمان الصحيح تمكَّنت منه، وأثَّرت فيه تأثيرًا بالغًا.

فالعبدُ بحاجةٍ ماسَّةٍ لِأَن يملأَ قلبَهُ بالإيمان الصَّحيح والاعتقاد السليم بدلائله من كتاب الله وسنة نبيِّهِ ﷺ، ليحفظَ دينَهُ من شُبَهِ الأقاويل، وبدع الزائغين، وتقدَّم أن من أهمِّ ما يُعينُ على ذلك حفظُ هذه المختصرات في الاعتقاد ودراستُها.

قوله (**ومُحدثاتِ الضَّالِّينَ**): هذه المُحدثات والبِدَع كثيرةٌ جداً، لا حَدَّ لها ولا عَدَّ، والسلامةُ منها كلِّها إنما يكون بالاعتصام بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

قوله: (**وقد شَرَحتُ لكَ مِنْهَاجًا مُوضِحًا**): بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ منهجَ أهل الحقِّ موضِحٌ للصراط المستقيم، ومُوضِحٌ لطريق جنَّات النعيم، وتحقيق هذا المنهج يكون أولاً بإصلاح المعتقد، وتَحْقِيقِهِ، ثمَّ العناية بعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بالتقرب إليه بما يحبُّهُ ويرضاه، فالأساس يكون بتصحيح العقيدة التي يبني عليها العبدُ أعمالَهُ وطاعاتِهِ وقرباتِهِ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله (**لـم آلُ نَفسي وإِيَّاكَ فيهِ نُصحًا**): أشارَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّهُ ببيان منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة أراد نُصحَ نفسِهِ أولاً، ثمَّ نُصحَ من سأله، وفي هذا تنبيهٌ لطيفٌ أنه على المسلم أن يجتهدَ أولاً في نصحِ نفسِهِ؛ بتحرِّي العقيدة الصحيحة المبنِيَّة على الكتاب والسنَّة، لأنَّ هذه العقيدة هي التي سيلقى بها ربَّه يوم القيامة، وتكون بها نجاته من النيران، وفوزه بأعالي الجنان.

ومن المحال أن يعرفَ المسلمُ العقيدة الصحيحة التي ينجو بها أمامَ ربِّ العالمين إلا من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف هذه الأمَّة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان وجوب التزام الدليل من الكتاب والسنة في أبواب الاعتقاد وأصول الدين: (مَنْ فارقَ الدليلَ ضلَّ السبيل)(١).

وقال ابن أبي العزَّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كيف يُرام الوصولُ إلى علم الأصول بغير معرفة ما جاء به الرسول ﷺ؟!)(٢).

قوله (**ذي الرُّشد والتسديد**): أي الذي لا يُنال الرَّشادُ والسَّداد والتوفيق إلا منه، فهو وَحدَهُ المُوَفِّق، والهادي إلى سواء السبيل.

قوله (**بَدأتُ فيهِ بحَمدِ اللهِ ذي الرُّشدِ والتَّسدِيدِ**): بدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته بِحَمْدِ الله تعالى اقتداءً بكتاب الله العزيز، وبسنة النبي ﷺ.

---

(١) نقله عنهُ تلميذهُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في « مفتاح دار السعادة » (١/ ٨٣).

(٢) « شرح الطحاوية (ص٩).

المتن

الحَمدُ للهِ أَحَقُّ مَن ذُكِرَ، وَأَولى مَن شُكِرَ، وعَلِيهِ أُثنِي: الواحِدُ الصَّمَد، لَيسَ لَهُ صَاحِبَةٌ ولا وَلَد، جَلَّ عَنِ المَثِيل، فَلا شَبِيهَ لَهُ وَلا عَدِيل، السَّمِيعُ البَصِير، العَلِيمُ الخَبِير، المَنِيعُ الرَّفِيع.

عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلمِهِ مِن خَلقِهِ.

الشَّرحُ

قوله (**الحَمدُ للهِ**): الألف واللام في (**الحمد**) تُسمَّى (أل) الاستغراق، وضابطها صحةُ إبدالها بلفظ: (كلُّ).

واللام في قوله: (**لله**) للاستحقاق، فيصير المعنى: كلُّ حمدٍ وثناءٍ فهو مُستَحَقٌّ لله سبحانه وتعالى، فالله جل جلاله يُحمد على نعمائِهِ، ويُحمَد على أسمائه وصفاته.

قوله (**أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ**): جاء المُصنِّف رحمه الله بصيغة أفعل التفضيل (أحقُّ) لأنَّ ربَّ العالمين خيرُ مَن ذُكِر وحُمِدَ على الإطلاق، كما ورد في دعاء الرفع من الركوع: «**اللهم ربنا لك الحمد، مِلْءَ السماوات ومِلْءَ الأرض، وما بينهما، ومِلْءَ ما شئت من شيء بعد، أهل الثناءِ والمَجْدِ، أَحَقُّ ما قال العَبْدُ**»[1].

(١) أخرجه الإمام مسلمٌ في «صحيحه» كتاب: الصلاة، رقم: (٤٧٧) و (٤٧٨).

ففي هذا الدُّعاء المأثور بيانُ أنَّ أحقَّ وأكملَ شيءٍ قالَهُ العبدُ: **ذكرُ اللهِ وحمدُهُ، والثناءُ عليه**، وذلكَ يتناول الحمدَ، والتسبيحَ، والتهليلَ، وسائرَ الأذكار الشرعية، وقراءة القرآن، ومعرفة أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته، وتعلُّمَ دينهِ وشرعه، فكلُّ ما تقدَّمَ من ذكرِ الله سبحانه وتعالى.

فإذا تقرَّرَ ذلك علِمنا المرادَ بحديث النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا مَرَرْتُم بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا**»، **قالوا: وما رياضُ الجَنَّةِ؟ قالَ**: «**حِلَقُ الذِّكرِ**»، فإنَّ قوله ﷺ (**حِلَق الذِّكرِ**): يعمُّ جميعَ مجالسِ العلمِ؛ التي فيها تعريف الناس بربِّهم وخالقهم، وما له من صفات الجلال والكمال، وتعليمُهم أحكامَ دينِهِ، فكلُّ ذلك مِن ذكر الله سبحانه وتعالى.

قوله (**وأَولَى مَن شُكِرَ**): شُكرُ الله سبحانه وتعالى يكون بالقلب واللِّسان والجوارح، فالقلبُ يَشكُرُ بمعرفة نعمِ الله سبحانه وتعالى على العبد، واللِّسان يشكرُ بذكرِ هذه النِّعَمِ والثناء على الله جل جلاله المتفضِّلِ بها، والجوارح تشكرُ أيضـًا باستعمال هذه النِّعَم في طاعته، وعدم استعمالها في معصيته، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾.

قوله (**وعليهِ أُثنِي**): الثناء على الله سبحانه وتعالى هو ذِكرُه بالعظَمةِ والجمال والجلال والكمال.

والله سبحانهُ يُحِبُّ الثناء لأنه أهل الثناء والحمد، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾.

وكان مِن دعاء نبيِّنا الكريم عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهمَّ إنِّي أَعوذُ بِرِضاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ من عُقُوبتكَ، وأَعوذُ بِكَ مِنكَ، لا أُحصي ثَناء عليك أنت كما أَثنَيت على نَفسِكَ**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب: الصلاة، رقم: (٤٨٦).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ للهِ تسعةً وتِسْعينَ اسمًا مَن أَحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١).

قوله (الواحِدُ): أي المتفرِّد بالوحدانية في أسمائِهِ وصفاتِه، وفي ربوبيتِهِ، وفي ألوهيَّتِهِ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولهذا قال العلماء: إن التوحيدَ منقَسمٌ إلى ثلاثة أقسامٍ: توحيدٌ في الألوهيَّة، وتوحيدٌ في الرُّبوبيَّة، وتوحيدٌ في الأسماء والصفات، ولا يكون الإنسانُ مؤمنًا ولا مُوحِّداً ما لم يُوحِّد الله عز وجل بهذه الأنواع الثلاثة كُلِّها.

قوله (الصَّمُد): هذا الاسم من أسماء الله سبحانه وتعالى الحسنى التي تتضمَّن صفاتٍ عديدة، فإنه تدلُّ على كمال الله عز وجل وعظمتِهِ، وغِناهُ عن خلقِهِ، وأن جميعَ المخلوقات تصمُدُ إليه في حاجاتها وتفزع إليه في رغباتها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (**الصمدُ**: السيد الذي قد كَمُلَ في سُؤْدَدِهِ، والشريفُ الذي قد كَمُلَ في شرفِهِ، والعظيمُ الذي قد كمل في عَظَمَتِهِ، والحليمُ الذي قد كمل في حِلْمِهِ، والغنيُّ الذي قد كَمُلَ في غِناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالِمُ الذي قد كَمُلَ في عِلمِهِ، والحكيمُ الذي قد كَمُلَ في حِكْمَتِهِ، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواعِ الشَّرَفِ والسُّؤْدَد)(٢).

وممَّا تقدَّمَ نُدركُ قاعدةً جليلةً تتعلَّق بأسماء الله سبحانه وتعالى، **وهي: أنَّ مِن أسماء الله الحسنى ما يدلُّ على صفة واحدةٍ**؛ كالعليمِ دالٌّ على صفة العلم، والسَّميع دالٌّ على صفة السمع، والبصير دالٌّ على صفة البصر، **ومِن أسماء الله الحسنى ما يدُلُّ على صفات عديدة**؛ كالصَّمدِ، والسيِّد، والمجيد، والحميد، وغيرها.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب: التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحداً، رقم: (٧٣٩٢)، والإمام مسلم في «صحيحه» كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، رقم: (٤٨٦).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهانيُّ في كتاب «العظمة» رقم: (٩٦)

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ من أسمائهِ الحسنى ما يكون دالاً على عِدَّةِ صفاتٍ؛ ويكونُ ذلك الاسمُ متناوِلاً لِجَميعِها تناولَ الاسمِ الدالِّ على الصفة الواحِدَةِ»(١).

قوله (**ليسَ لهُ صاحِبَةٌ ولا وَلَد**): فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عن الصاحبة -وهي الزوجة- والوَلَدِ لكمالِ صمَدِيَّتِهِ وغناه عن خلقه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

قوله (**جَلَّ عَنِ الْمَثِيل**): أي تَنَزَّه وتقدَّس عَنِ الـمُماثِل كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ فلا مثيل له في أسمائه، ولا مثيل له في صفاته، ولا مثيل له في عظمته وكبريائه.

ومَن مثَّل الله بخلقِهِ، أو جعلَ له نظيراً أو عِدلاً فقد كَفَرَ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قوله (**فلا شَبِيهَ له ولا عَدِيل**): هذا تأكيدٌ لما سبقَ مِن أنه مُتَنَزِّهٌ عن هذا كُلِّه.

قوله (**السَّميعُ البصير**): هذان الاسمان العظيمان من أسماء الله تعالى يدلَّان على ثبوت صفتي السَّمع والبصر لله عَزَّ وَجَلَّ، والقاعدة في هذا الباب -كما قرَّرها العلماء-: أنَّ كُلَّ اسمٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دالٌّ على صفة كمال، وهذا وجه كون أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حُسنَى لأنها متضمنة لصفات الكمال.

فالسميع دالٌ على ثبوت كمال السمع لله عَزَّ وَجَلَّ، فهو جَلَّ جَلَالُهُ يسمعُ جميعَ الأصوات، على اختلاف اللغات، وتفنُّن الحاجات، كما قالت أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في قصة

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١٥٢).

المجادِلَة: (**الحمدُ للهِ الذي وَسِعَ سَمعُهُ الأصواتَ**)[١].

وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن الله سبحانه وتعالى قال: «**يا عبادي لو أن أوَّلكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنكُم قاموا في صَعيدٍ واحدٍ فَسألُوني فأَعطَيتُ كُلَّ إنسانٍ مَسألَتَهُ ما نقَصَ ذلك مِمَّا عندي، إلا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخِلَ البحرَ**»[٢]، فجميعُ الخلقِ لو قاموا في صعيدٍ واحد وسألوه كُلُّهُم مسائلَ متنوِّعةً، بلغاتٍ مختلفة، في وقتٍ واحدٍ؛ لم يَخْتَلِط عليه صوت بصوت، ولا حاجةٌ بحاجة، وكذا يقال في اسمِهِ (البصير) فإنَّهُ دالٌّ على صفة البصر، ومعناه: أنه سبحانه وتعالى يُبصِرُ جميع المُبصرات.

والمسلمُ عندما يؤمنُ بذلك فإنهُ سيورثُهُ مراقبةً لكلِّ ما يتلفَّظُ به أو يفعَلُهُ، لأنهُ موقِنٌ أنَّ الله سبحانه وتعالى يَسْمَعُهُ ويراهُ، ثُمَّ يُحاسِبُهُ على ما قال وكَسَب.

قوله (العَليمُ): أي العِلم الشامل المحيطُ بكلِّ شيءٍ؛ فهو سبحانه وتعالى عالمٌ بما كان، وعالمٌ بما سيكون، كما قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾، وهو سبحانه وتعالى عالمٌ بما لم يكنْ أن لو كان كيف يكون، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾، وعِلمُهُ جل جلاله لم يُسبق بجهل، ولا يَلْحَقُهُ ضعفٌ ولا نقصٌ، ولا يعتريه نسيانٌ، بخلاف علم المخلوق؛ فإنَّهُ ناقِصٌ من وجوهٍ عديدة:

- فعلم المخلوق ضئيلٌ قليلٌ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.
- ومسبوقٌ بجهل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» قبل رقم: (٧٣٨٦) تعليقًا مجزومًا به، وأخرجه ابنُ ماجه في «السنن» أبواب: الإيمان وفضائل الصحابة، باب: ما أنكرت الجهمية، رقم: (١٨٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب: البر والصلة والآداب، رقم: (٢٥٧٧).

- ويعْتَرِيه نِسيانٌ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾.
- ومَصِيرهُ للفناء، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾.

قوله (الـخَبير): هذا الاسم دالٌّ على صِفةِ الخِبْرَة؛ وهي: علمُ الله عَزَّ وَجَلَّ بدقائق الأمور وبواطنِ الأشياء، فلا يغيب عنه شيءٌ كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾، ولا يعزبُ عن علمِهِ مِثقالُ ذرَّة، كما جاء في وصيَّة لقمان الحكيم لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ فختمَ الآيةَ باسمِهِ الخبير.

قوله (المَنِيـع): معنى **المنيع**: أي الذي لا يُنال جَنابُهُ، ولا يُردُّ قضاؤه؛ لكمال قوَّتهِ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

والمنيع ليس من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، ولم يَسُقْهُ المصنفُ مساقَ الاسم، وإنَّما ساقَهُ مساقَ الإِخبار، وباب الإخبار أوسعُ مِن باب الأسماءِ والصفات.

قوله (الرَّفِيع): أي الذي له الرِّفعةُ والعُلو، كما قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾، فالله جَلَّ جَلَالُهُ له العُلوُّ بكلِّ المعاني؛ علوُّ المكان والذَّات، وعلوُّ القَدْرِ والمنزِلة، وعُلوُّ القهر والغلبة، دليلُ الأوَّل قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، ودليلُ عُلُوِّهِ قَدْراً قولُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، ودليلُ عُلُوِّهِ قَهْراً قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

ونَجِدُ أنَّ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملةِ نفى عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أموراً فقال: (**جَلَّ عَنِ المَثِيل، فَلا شَبيهَ لهُ، ولا عَديل**) ثُمَّ أثبتَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أموراً فقال: (**السَّمِيعُ البَصِير، العَلِيمُ الخَبِير، المَنِيع، الرفيع**) فجمعَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين النَّفي والإثبات على ضوء ما وردَ في القرآن والسنة، وهكذا منهجُ سلفِ هذه الأُمَّة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في هذا الباب: يُثبتون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من صفات

الكمال والجلال ما أثبتهُ لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، وينفُون عنه سبحانه وتعالى مِن النَّقائص والعيوب ما نفاهُ عن نفسه، وما نفاه عنه رسولُه ﷺ ، فلا يُجاوِزون ما ورد في الكتاب والسنَّة؛ كما قال الأوزاعيُّ رحمه الله: (**ندورُ مع السنة حيث دارتْ**)[١]، أي: يدورون مع الكتاب والسنة نفياً و إثباتاً حيث دارا، فما ثبتَ بهما أثبتوه، وما نُفي فيهما نَفوه، لا يتجاوزون القرآن والحديث ،كما قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث)[٢].

قوله (عالٍ عَلى عَرْشه): أي مستوٍ على عرشه مُرتَفِعٌ عليه، والله سبحانه وتعالى أخبر عن عُلُوِّه واستوائه على العرش في سبع آيات في القرآن، ورغمَ هذا البيان الجلي نجدُ أنَّ أهل البدع والأهواء ينفون هذه الصفة الجليلة عن الله سبحانه وتعالى أو يحرِّفونها عن ظاهِرها!

وحُجَّتُهم في ذلك أنَّ الاستواءَ -فيما يُعهدُ ويُشاهَد- لا يكون إلا عن حاجة وافتقار، فالمخلوق إذا استوى على الفلك أو الدابَّة فهو محتاج إليها، فلو أثبتنا لله الاستواء على المعنى الظاهر والـمُتبادر لأثبتنا حاجته للعرش، والله سبحانه وتعالى مُنزَّهٌ عن الحاجة والافتقار؟!

وعليه فإنَّهم حرَّفوا معنى الاستواء المعروف في لغة العرب -وهو: العلوُّ والارتفاع- إلى معنىً غريبٍ، غير معهودٍ عند العرب، فقالوا المقصود بالاستواء في الآية: (الاستيلاء)، فمعنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: استولى عليه!

وذكروا بيتاً يتيماً منحولاً، لشاعرٍ مجهول:

(١) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١/ ٧١).

(٢) « العلو للعلي الغفار» للذهبي (١/ ١٨٨).

قد استوى بشرٌ على العراقِ		من غير سيفٍ أو دمٍ مِهراقِ

وبشــر المذكور في البيت هو بشــر بن عبد الملك أخو مروان بن عبد الملك، وكان قائدَ الجيش الذي فتح العراق، فالشــاعر قال هذا البيت في زمن بني أمية! فأين الشاهِدُ على المعنى المزعوم قبل هذا الوقت؟

وما المانع أن يقال: إن المعنى المقصود في البيت هو العلوُّ والارتفاع، فإنَّ بِشراً يُمدَحُ بأنَّه استوى على عرشِ العِراق، وارتفعَ عليه، وأما الاستيلاء فلا يُمدَحُ عليه القادة، وإنَّما يُمدَح الولاةُ الذين أمروا القادة، وفي البيتِ إشكالاتٌ كثيرة غيرها، فهو منسوبٌ إلى الأخطلِ النصراني، وذكر بعض أهل العِلم أنَّهُ مُحرَّفٌ، وقائلهُ متأخِّرُ الوفاة؛ فإنَّ العلماء لم يعتمدوا على الشعر في الشواهد العربية في زمانهِ لغلبة العُجمة، إلى غير ذلك من المآخِذ الكثيرة على هذا البيت.

ثمَّ إنَّ سياق الآية لا يحتَمِلُ هذا التأويل الفاسد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فإن (ثمَّ) تفيد الترتيب والمُهلة؛ فهل كان العرشُ خارجًا عن مُلكِ الله سبحانه وتعالى ثُمَّ استولى عليه!!

إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي تلزمُ كُلَّ من تلوَّث بلوثةِ التعطيل التي جرَّتهم إلى هذه التحريفات المتراكمة، فلم يُبقوا آيةً أو فِعلاً أو اسمًا لله جل جلاله إلا وحرَفُوه عن بابه، وعن معناه المعهود في لغة العرب[1].

قوله (عَلى عَرشِهِ): ذكر المصنِّف رحمه الله العرشَ المجيد لله سبحانه وتعالى، والعرشُ مخلوقٌ عظيمٌ مِن أكبر المخلوقات وأثقَلِها وزنًا، وله قوائم، وملائكة عِظامٌ يحمِلونَهُ، وغير

(١) انظر رد الاستدلال ببيت الأخطل المتقدم من عدة أوجه: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٧/ ١٣٨).

ذلك من الأوصاف الواردة في الكتاب والسنة والتي تُبيِّن عظَمَتهُ وفضْلَهُ، فالواجب هو الإيمان بجَميعِ ذلك كما ورد.

واستواءُ الله جَلَّ جَلَالُهُ على العرش لا عن حاجةٍ وافتقار كما تَوهَّمَهُ أهل الزيغ والضلال، بل ربُّ السماوات والأرض غَنِيٌّ عن العرش وعن غيره من المخلوقات، والعرش وما دونه كلُّهم فقراءُ إلى اللهِ محتاجون إليه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المُمْسِكُ لها بقوَّتِهِ وقدرته، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، فاستواء رب العالمين على العرش هو عن غنى عنهُ، بخلافِ المخلوق فإنَّ استواءهُ على الدابة أو السفينة أو غيرها هو عن حاجةٍ وافتقار.

قوله (وهُوَ دانٍ بِعلمِهِ مِن خَلقِهِ): فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جمع بين الاستواء على العرش ودُنُوِّه من خلقِهِ بعلمِهِ، وذكرَ لنا هذا الأمر في آيات كثيرة، بل إنَّ الآيات السبع التي ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ استواءه على العرش أعقبها في الغالب بذكر العلم؛ كقوله في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وكقوله في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾، فبعد أن ذكرَ استواءَهُ على العرش أعقبَهُ بذكرِ إحاطة علمِهِ مِن خلقِهِ، وكذا في سورة الرعد لما ذكر الاستواء ذكر العلم متراخيًا عنه فقال: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾.

ولهذا بعد أن ذكر المصنف استواءَ الله على عرشهِ بيَّن أنهُ دانٍ مِن خلقِهِ بعلمِهِ.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء، وعِلمُهُ في كل مكان، لا يخلو من علمِهِ مكان)[١].

قوله (أَحاطَ عِلمُهُ بِالأمور): أي بجميعِ الأمور خَفيِّها وجَلِيِّها، كما قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، وقال أيضـًا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾، فبيَّن المولى عَزَّ وَجَلَّ أنَّ الخلقَ دليلٌ على العلم، فهذه المخلوقات العظيمة، وتنوُّعها، وتعدُّدها، وآجالها، كلُّ ذلك يدلُّ على سعة علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإحاطتهِ بجميع هذه المخلوقات.

ومِن لطائف الاستدلال في هذا الباب ما أورده قوام السُّنة أبو القاسم التَّيمي في كتابه «الحجة في بيان المحجة» عن بعضِ الملاحِدة قال:

(**أنا أخلق، فقيل**: فأَرِنا خَلقَكَ! فأخذ لَحمًا فشَرَّحَهُ، ثم جَعَلَ بينَهُ روثًا، ثم جعَلَهُ في كُوزٍ وختمه، ودَفَعهُ إلى من حَفِظَهُ عنده ثلاثة أيام، ثم جاءَ به إِلَيهِ فكسر الخاتم، وإذا الكوز ملآنٌ دودًا، فقال: هذا خَلْقِي! **فقال له بعض من حضر**: فكَمْ عَدَدُهُ؟ فلم يَدْرِ.

فقال: فكَمْ منه ذكور وكم منه إناث؟ وهل تقوم برزقه؟ فلم يأت بشيءٍ.

فقال له: الخالقُ الذي أحصى كلَّ ما خلقَ عدداً، وعرفَ الذَّكَرَ والأنثى، ورزَقَ ما خلقَ، وعَلِمَ مدةَ بقائِهِ، وعَلِمَ نفادَ عمره)[٢]، فبُهِتَ هذا الـمُلْحِد.

---

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (٧/ ١٥٣)، وأخرج نحو هذه العبارة عن الضحَّاك، وسفيان الثوري، والإمام أحمد ابن حنبل، وغيرهم.

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٤٤).

المَتْن

أحاطَ عِلمُهُ بالأمور، وأنفَذَ في خلقِهِ سابِقَ المَقدُور، ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾، فَالخَلقُ عامِلُونَ بِسابِقِ علمِهِ، ونافِذون لِمَا خَلَقَهُم لهُ مِن خَيرٍ وشَرٍّ، لا يملِكونَ لأنفُسِهم مِن الطاعَةِ نَفعًا، ولا يَجِدونَ إلى صَرفِ المعصِيَة عنها دَفعًا.

الشَّرح

قوله (أَحاطَ عِلمُهُ بِالأمُور): هذا وما بعدَهُ حديثٌ عن الإيمان بالقدر، وهو ركنٍ عظيمٍ من أركان الإيمان، ودعامةٍ من دعائم الدين؛ كما ورد في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبيَّ عليه الصلاة والسلام عن الإيمان، فقال له ﷺ: «**أن تُؤمنَ باللهِ ومَلائكتِهِ وكُتبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ وتُؤمنَ بِالقدَرِ خيرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

وجاءَ تقريرُ هذا الركن العظيم في آيات كثيرة من القرآن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾، وقال ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب: الإيمان، رقم: (٨).

والإيمان بالقدر مع كونه ركنـًا مستقِلاًّ من أركانِ الإيمان الستة إلا أنه داخلٌ في الركن الأوَّل وهو: الإيمان بالله، لأنَّ جميعَ التقادير إنما هي عن مشيئة الله وقُدرته، ولهذا قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (القَدَرُ: قدرة الله عز وجل، فمن كذَّب بالقَدَر، فقد جَحَد قُدرَة الله عز وجل)[1]، فالذي لا يؤمن بالقدر ليس مؤمنـًا بالله أصلاً؛ لأنه جاحدٌ لقدرته ومَشيئَتِهِ.

وحَدُّ القدرِ الجامعِ له هو: إيمانُ العبد بعلم الله سبحانه وتعالى الأزلي، وكتابته في اللوح المحفوظ لما هو كائن إلى يوم القيامة، ومشيئتهُ سبحانه وتعالى لها، وخَلْقُهُ لكل شيء.

واشتملَ هذا التعريف للقدر على أركان الإيمان بالقضاء والقدر، وهي أربعة أركان، لا يكون العبد مؤمنـًا بالقدر حتى يؤمنَ بها كلِّها:

الأول: **علم الله سبحانه وتعالى الأزلي**، فربنا جل جلاله عَـلِـمَ في الأزل ما كـان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعِلمُهُ محيطٌ بكلِّ شيءٍ، دقيقِ الأشياء وجليلها، وخَفيِّها وظاهرها، وسرِّها وعلنها، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

الثاني: **كتابةُ الله عز وجل في اللوحِ المحفوظ لكلِّ ما هو كائن إلى يوم القيامة**، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾.

وصحَّ عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنَّ أولَ ما خلق الله القلمَ فقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدرَ؛ ما كان وما هو كائن إلى الأبد**»[2].

---

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرى» (٤/ ١٣١)، وأخرج نحو هذه العبارة عن زيد بن أسلم والإمام أحمد ابن حنبل (٣/ ٢٢٢- ٢٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم: (٣٣١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم: (١٣٣).

وصحَّ عنه أيضاً ﷺ قال: «**كَتب اللهُ مقاديرَ الخَلائِق قبل أن يخلقَ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»(٢).

فقوله: «**مقادير الخلائق**» تناول جميعَ الأعمالِ والأرزاق والآجال، فكلُّها مكتوبة في اللوح المحفوظ.

الثالث: مشيئتُه سبحانه وتعالى **النافذة**، فكلُّ الأمور بمشيئة الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فإنَّ جميعَ الخلقِ خلقُهُ، وجميعَ المُلك ملكُهُ، فلا يقعُ في ملكه سبحانه وتعالى إلا ما شاءَهُ.

الرابع: خلقُهُ جل جلاله **لكُلِّ شيءٍ**، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، فيجبُ الإيمان بأن الأشياءَ كلَّهَا مخلوقةٌ لله، فيدخلُ في ذلك الذوات وما قام بها من حركات وسكنات، كلُّ ذلك خَلْقٌ لله سبحانه وتعالى.

وللإمام الشافعي رحمه الله أبياتٌ جميلة رواها عنهُ جمعٌ من تلاميذهِ في إيضاح القدر؛ منهم الإمام البويطي، والإمام المزني، والربيع بن سليمان رحمهم الله وغيرهم.

قال المزني: «دخلتُ على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فأنشدني لنفسه(١):

ما شـئتَ كان وإن لم أشـأْ ... وما شـئتُ إن لم تشـأْ لم يكنْ
خلقتَ العبادَ على ما علمتَ ... وفي العلم يجري الفتى والمُسِنْ
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ ... وهـذا أعـنـتَ وذا لـم تُـعِـنْ
فمنهم شـقيٌّ ومنهم سـعيدٌ ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حسـنْ»

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» رقم: (٢٦٥٣).

(١) أخرجها البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ١٠٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٧٧٦).

وقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبيات المتقدِّمة: **(ما شئتَ كان)**: أي جميع الأمور إنما هي بمشيئتك سبحانك، ولا يكون شيءٌ إلا إذا شئْتَهُ، فمشيئتك هي النافذة، ولا معقِّبَ لحكمك، ولا رادَّ لقضائك.

وقوله (وإن لم أشأ): فمشيئة العِباد لا تكون إلا تحت مشيئتك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فما شاءه اللهُ كان وإن لم يشأ ذلك العِباد.

وقوله (وما شئتُ إن لم تَشأْ لم يكن): هذا تقريرٌ وتأكيد لما تقدَّم أنَّ مشيئَةَ العبدِ لا تحصلُ إلا إذا شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حصولها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

ويُقال: إن أعرابيًا سُئل: (بمَ عرفت ربك؟) قال: (بنقْضِ العزائم، وحَلِّ الهِمَم)، فالعبدُ يعزمُ على أمرٍ، ثم يجدُ نفسَهُ اتَّجه لأمرٍ آخر، وذلك لأن الله لم يشأ له الأمرَ الأوَّل، فمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي النافذة.

فهذا البيت فيه إثبات الركن الثالث من أركان القدر وهو الإيمان بمشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ.

وقوله (خلقتَ العبادَ على ما علمتَ) أي: أوجَدْتَ العبادَ من العدمِ، وخلقتَ الإنسَ والجن وفقَ علمكَ الأزلي.

فذكرَ الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت الركن الأول وهو الإيمان بالعلم الأزلي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والركن الرابع وهو الخلق.

وقوله (وفي العلم يجري الفتى والمسن): مراده أنَّ جميع الحركات والسكنات من الكِبار والصِّغار إنمَّا تقع وفقَ العلم الذي عِلمَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الأزل.

وقوله (على ذا مَنَنْتَ، وهذا خَذَلتَ، وهذا أعنْتَ، وذا لم تُعنْ): هذه أمورٌ تقعُ من الناسِ؛ والخالقُ والموجدُ لها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقوله (على ذا مننت): بيانُ أنَّ ربَّنا عَزَّوَجَلَّ هو صاحِبُ المِنن، وأعظمُ المِنن هي الإيمان والهداية والتوفيق والصلاح، وهذه المِنَّة يختصُّ الله بها من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقوله (وهذا خذلت): أي ابتليتَهُ بالخُذلان والحرمان، وعدم تحصيل الإيمان والتوفيق للهداية، وهذا إنَّما حصلَ بسبب زيغه وردِّه للحقَّ لما جاءه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾.

وقوله (وهذا أعنت، وذا لم تُعن): أي أعنتَ بعضَ عِبادك على طاعتك، والقيام بشكرك، والبعض بعكس ذلك، فيُستفاد من هذا أن جميعَ الطاعات يعجزُ العبدُ عن القيام بها إلا بعون وتوفيقٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان من وصيَّة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوصيك يا معاذ لا تَدعنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[1]، وثبتت دعوات كثيرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سؤال الله العون والتوفيق والهداية والثبات، لأنَّ ذلك كلَّه بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقوله (فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيد ومنهم قبيحٌ ومنهم حسن): فقضاء الله يشمل الذوات، ويشمل الهيئات والصفات، كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعملوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، أما من كان من أهل السعادة فيُيَسَّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل**

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» برقم: (١٥٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم: (١٣٦٢).

الشقاء فيُيَسَّر لعمل أهل الشقاوة»[١]، وقال أيضـًا: «**كُلُّ شيءٍ بِقدَرٍ حتى العَجزُ والكَيسُ**»[٢]، فعَجزُ الإنسان عن قيامه بأعمال الخير والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة إنما هو بقضاء الله وقدره، وكذلك فطنَتُهُ وعلوُّ همَّتِهِ وحرصُهُ على الخير بقضاء الله وقدره.

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: « **كلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتى وضْعكَ يدَكَ على خدِّك**»[٣].

وقال طاووس رَحِمَهُ اللهُ: «**أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر**»[٤].

قول المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ **(وأَنفَذَ في خَلقِهِ سابِقَ المَقدُور)**: فالتقادير التي قدَّرها ربُّ العالمين وفقَ علمهِ الأزليِّ، وكتبها في اللوحِ المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كلُّ ذلك نافذٌ وماضٍ، ولا رادَّ لهُ ولا مُعقِّب، كما قال ﷺ: «**ماضٍ فيَّ حكمك**»[٥].

قوله (﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ﴾): أوردَ المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذه الآية التي تدلُّ على الركن الأوَّل من أركان الإيمان بالقدر؛ وهو العلم الأزلي، المحيط بظواهر الأمور وبواطنها، ومن ذلك ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ﴾، والمقصود بـ(خائنة الأعين): حركتُها السريعة التي تخفى على من حَضَر عند الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» رقم: (٤٩٤٩)، ومسلمٌ في «صحيحه» رقم: (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (٦٩٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد » رقم: (١٣١).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٥٣٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» رقم: (٣٧١٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٩٩).

قوله (فالخَلقُ عامِلُونَ بِسابِقِ عِلمِهِ): فكلُّ الأعمال سواءٌ كانت من الصالحاتِ والبر، أم مِنَ المعاصي والكفر فإنها وفق علمِ الله ﷻ السابق، والإيمان بهذا الركنِ مِن أركان القدر مستلزمٌ للإيمان ببقيَّة الأركان، ولهذا كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «**ناظروا القدريةَ بالعلمِ، فإنْ جَحَدُوهُ كفروا، وإن آمنوا به خُصموا**»(١).

والمراد بالقدرية في كلامِهِ: النُّفاة، الذين يقولون: لا قدر، وأن الأمر أُنُف، وأنَّ الله ﷻ لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وقوعها.

وقد سألَ الإمام المزني رحمه الله الشافعيَّ عن القدرية، فقال له: (**هم الذين زعموا أن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون**)(٢).

ولازمُ قولهم: إنَّ العبدَ هو الذي يخلقُ فعلَهُ، فأثبتوا خالِقًا مع الله ﷻ، وبهذا شابهوا المجوس كما ورد في النصوص(٣).

قوله (نافِذونَ لِما خَلَقَهمْ لهُ مِن خيرٍ وشَرٍّ): فالعِبادُ ماضون وسائرون لِمَا خلقَهم الله له، فَمَن خَلَقَهُ الله للسعادَةِ فهو سائر وماضٍ إليها، ومن خَلَقَهُ للشَّقاء فهو سائرٌ وماضٍ إليه.

وقد قال النبيَّ عليه الصلاة والسلام يومًا لأصحابه وهم في جنازة: «**ما منكم مِن أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعَدُهُ من النار، ومقعَدُهُ من الجنة**»، فقال الصحابة رضي الله عنهم: «**يا رسول الله، أفلا نَتَّكِلُ**

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١٠٦)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه البيهقي في « مناقب الإمام الشافعي » (٢/ ٣٥٤).

(٣) أخرج أبو داود في «السنن» رقم: (٤٦٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **القدرية مجوس هذه الأمة: إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»، وحسَّنه الألباني في «شرح الطحاوية» (ص٢٨٤).

على كتابنا وندعُ العملَ» -فأجابهُم الرسول ﷺ بجوابٍ كافٍ شافٍ وافٍ-، فقال: «**اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فـيُيَسَّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيُيَسَّر لعمل أهل الشقاوة**» ثمَّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[(١)].

وتضمَّن جواب النبي ﷺ عن سؤالهم أصلين عظيمين يقوم عليهما الإيمان بالقدر:

الأصل الأول في قوله: «اعمَلُوا»: فالعِباد مأمورون بالعمل ومجاهدة النفس على ما يُقرِّبُ إلى الله ﷻ؛ ليحصِّلوا السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وهذا الخطاب من النبي عليه الصلاة والسلام لأمَّته بالعمل يدلُّ على ثبوت المشيئة والإرادة لهم، وأمَّا الجماد أو غيره ممَّن لا مشيئة له فإنَّه لا يتعلَّق به الخطاب بالعمل، وقد ثبتت المشيئة للعبد في آيات عديدة من القرآن، كقوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

الأصل الثاني في قوله «فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلقَ له»: ففي هذا الأصل بيان أنَّ جميع الأمور التي تقع مردُّها لمشيئة الله ﷻ، ومِن ذلك مشيئة الإنسان؛ فإنها تابعةٌ لما يشاؤه الله منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

فتحصَّل مما سبق: أنَّ السعادة في الدُّنيا والآخرة لا تُنال إلا بتحقيق هذين الأصلين؛ وذلك بمجاهدة النفس على الطاعات والخيرات، والاستعانة بالله ﷻ في ذلك وسؤاله التوفيق والهداية، كما قال النبيُّ ﷺ: «**احرِص علَى ما يَنفَعُكَ واستَعِن باللهِ**»[(٢)].

وكان رسول الله ﷺ مع كثرة تنسُّكِهِ وعبادته لله ﷻ يُكثِرُ مِن هذا الدعاء: «**يا مُقلِّب**

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» رقم: (٤٩٤٩)، ومسلمٌ في «صحيحه» رقم: (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه » رقم: (٢٦٦٤).

القلُوبِ ثَبِّتْ قلبي على دِينكَ» [١].

ومن دعائه ﷺ في القنوت: « **اللهم اهْدِنا فيمن هَدَيت، وعافِنا فيمن عافَيت، وتولَّنا فيمن تَوَلَّيْت، وبارك لنا فيما أَعْطَيت، وقِنا شَرَّ ما قضيت، إنك تَقضِي ولا يُقضى عليك، إنه لا يَذِلُّ من والَيت، ولا يَعِزُّ من عادَيت، تباركت ربنا وتَعالَيْت»** [٢]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة، كلُّها تبيِّن أن الإيمان بالقدر لا يتحقَّق للعبد إلا بالعمل الصالح وفعل أسباب السعادة والنجاة، وسؤال الله الهداية والمَعُونة والتوفيق.

قوله (لا يَملِكونَ لأنفُسِهم مِن الطَّاعةِ نَفعَـًا، ولا يَجِدُونَ إلى صَرفِ المعصِية عَنها دَفعَـًا): هذا تقريرٌ لما تقدَّم أنَّ فعل الأسباب لا يستَقِلُّ بذاته في جلب السعادة ودفعِ الشقاوة، بل كلُّ ذلك بيد الله ﷻ وبمشيئته، وهو معنى قولك: **(لا حَولَ ولا قُوةَ إلا باللهِ)**، فلا يملك العبد لنفسه من الطَّاعة نفعًا، ولا إلى صرف المعصية عنه دفعًا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (٢٦٥٧٦) واللفظ له، والترمذيُّ في «الجامع»، رقم: (٣٥٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم: (٢٠٩١).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم: (٤٦٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» رقم: (٤٢٩).

المتن

خَلَقَ الخَلقَ بِمَشيئَتِهِ عن غَير حاجَةٍ كانت بِهِ، وخَلقَ المَلائِكةَ جَمِيعًا لِطَاعَتِهِ، وَجَبلَهُم عَلى عِبادتِهِ، فَمِنهُم مَلائِكَةٌ بِقُدرَتهِ لِلعَرشِ حامِلُونَ، وطائِفَةٌ مِنهُم حَولَ عَرشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمدِهِ يُقَدِّسُونَ، وَاصطَفى مِنهُم رُسُلاً إِلى رُسُلِهِ، وبَعضٌ مُدَبِّرون لأَمْرِهِ.

الشَّرح

قوله (**خلقَ الخلقَ بِمشيئتهِ عن غيرِ حاجةٍ كانت بِهِ**): وذلك أنَّهُ سبحانه وتعالى غنيٌّ؛ كامل الغِنى من كلِّ وجه عن عباده، والعباد هم الفقراء إليه سبحانه وتعالى من كل وجه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾.

ولا تنفعُهُ طاعة الطائعين، ولا تضرُّهُ معصيةُ العاصين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾، لكنَّهُ من كمال فضله وعظيم منِّه سبحانه وتعالى يُحبُّ الطائعين، ويفرحُ بتوبة التائبين فرحًا عظيمًا كما قال صلى الله عليه وسلم: «**للهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِهِ المؤمن، مِن رَجُلٍ في أرضٍ دوِيَّة مَهْلكة، معَهُ راحلَتُهُ؛ عليها طعامُهُ وشرابُهُ، فنامَ فاستَيْقَظَ وقد ذهَبَتْ، فطلَبَها حتى أدركَهُ العطشُ، ثم قال: أَرجعُ إلى مكاني الذي كنت**

فيه، فأنام حتى أموت، فوضعَ رأسَهُ على ساعِدِه ليموتَ، فاستيقظَ وعنده راحلتُهُ وعليها زادُهُ وطعامُهُ وشرابُهُ، فالله أشدُّ فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلتِهِ وزاده»[١].

قوله (وخلق الملائكةَ جميعًا لطاعتهِ، وجَبَلَهم على عبادتهِ): كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قوله (فمنهُم ملائكةٌ بِقدرتِهِ للعرشِ حَامِلُونَ): في هذا عِظَمُ خلقهم، وبعض أوصافهم، وفيه: بيان كمال قدرة الله ﷻ، واستغناؤه عن خلقهِ، فهؤلاء الملائكة العِظام مُمسكون بالعرش بقدرة الله، كما قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾، وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾، فجميع الكائنات إنما هي قائمة بقدرة الله ﷻ.

قوله (وطائفة حول عرشه يسبحون): كما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

قوله (وآخرون بِـحمده يقدسون): أي ينزهونه بتسبيحه عمَّا لا يليق به من النقائص والعيوب، وعن مماثلة مخلوقاته.

وهذا وصفٌ لعموم الملائكة، فهو من الأوصاف المشتركة بينهم، كما قال ﷻ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، أي: لا يَضْعُفون ولا يَسْأَمون عن التسبيح في جميع الأوقات.

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (٢٧٤٤).

قوله (اصطفى منهم رسلاً إلى رُسُلِهِ): كما قال سبحانه وتعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾، ومرادُه رحمه الله الملائكة الموكَّلون بإبلاغ الوحي.

وفي هذا أنَّ الرُسُلَ نوعان:

-رسولٌ مَلَكيٌّ: ومُهِمَّتهُ إيصال وحي الله إلى الرسول البشري.

-ورسولٌ بشريٌّ، ومُهِمَّته تبليغ ما أُنزل إليه للناس، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

قوله (وبعضٌ مُدَبِّرون لأمْرِه): أي أمر الله سبحانه وتعالى، والمراد بالأمر هنا أي المأمور، لأن المصدرَ إذا أُضيف إلى الله سبحانه وتعالى يرادُ به تارةً الصفة، و يراد به تارة أثرها، ويتبيَّن ذلك من السياق، فالمراد بالأمر في كلام المصنِّف هنا: الأثر والمأمور[1].

ومن تدبيرهم لأمر الله قبضهم للأرواح، وكذا إنزالهم المطر، وكتابتهم لأعمال العباد وغيرها من الأعمال، وكلُّ ذلك إنما هو تنفيذٌ لأوامر الله سبحانه وتعالى.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/١٢٧).

المَتْن

ثُـمَّ خَلق آدمَ بِيدِهِ وأَسكَنهُ جَنَّتَهُ، وقَبلَ ذَلِكَ لِلأرضِ خَلَقَهُ، ونَهاهُ عَن شَجَرَةٍ قَد نَفَذَ قَضاؤُهُ عَلَيهِ بِأَكلِها، ثُـمَّ ابتلاهُ بِـما نَهاهُ عَنهُ مِنها، ثُـمَّ سَلَّطَ عَلَيهِ عَدُوَّهُ فأَغواهُ عَلَيها، وجَعلَ أَكلَهُ لها إِلى الأرضِ سَبَبًا، فما وجَدَ إِلى تَركِ أَكلِها سَبيلاً ولا عَنهُ لها مَذهَبًا.

ثُـمَّ خَلقَ لِلجَنَّةِ مِن ذُريَّتِهِ أَهلاً، فَهم بِأَعمالِها بِـمَشِيئَتِهِ عامِلُونَ، وبِقُدْرَتهِ وبِإِرادتِهِ يَنفُذُونَ، وخَلَقَ مِن ذُريَّتِهِ لِلنَّارِ أَهلاً، فَخَلَقَ لَـهُم أَعيُنًا لاَ يُبصِرونَ بِها، وآذانًا لا يَسمَعُونَ بِها، وقُلوبًا لا يَفقَهُونَ بِها ، فَـهُم بِذَلِكَ عَنِ الـهُدى مَـحجوبونَ، وبِأَعْمالِ أَهلِ النَّارِ بِسابِقِ قَدَرِهِ يعملُونَ.

الشَّرحُ

قوله (ثمَّ خَلقَ آدمَ بيدِهِ): أورد المصنِّف بإيجاز قصة نبيِّ الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريَّتِهِ، وقدَّم ذلك بذكر ما خصَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشرَّفه به أن خلقَهُ بيده الكريمة، كما قال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

واستدلَّ أهل السنة بهذه الآية وغيرها من الآيات على إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله وكماله، **وأما أهل الضلال والبدع** فإنهم يؤولونها بالقدرة!

وقد ردَّ أهل العلم هذه المقولة الباطلة من وجوه كثيرة؛ منها أنه جَحْدٌ لهذه الفضيلة الكريمة لأبينا آدم عليه السلام التي ذكرها الله سبحانه وتعالى له على سبيل المدح والثناء في كتابه، وصحَّ عن النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً أنَّ الناسَ في عرصات القيامة يذهبون إلى آدم عليه السلام ويقولون له: «**يا آدم أنت أبو البشر، خَلَقَك اللهُ بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تَشْفَعُ لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا...**»[1]، فهذه المنقبة العظيمة لأبينا آدم عليه السلام يجحدها أهل التعطيل بتحريفهم صفة اليد بالقدرة، فجميع الخلق مخلوقون بقدرة الله، ولا مزية لأبينا آدم عليه السلام حينئذ.

قوله (**وأَسكَنهُ جَنَّتَهُ**): وهذه الجنَّة التي دخلها آدم عليه السلام وسكنها هي التي سيدخلها المؤمنون يوم القيامة، كما قال ابن القيم رحمه الله:

فحيَّ على جنَّات عدنٍ فإنها ... منازلنا الأولى وفيها الـمُخيَّم

قوله (**وقَبلَ ذَلِكَ**): أي فيما قدَّره الله وقضاه.

قوله (**لِلأَرضِ خَلقَهُ**): أي خلقَهُ لِيَنْزِلَ للأرض ويهبطَ عليها، بفعلِهِ للسَّبب الموجب لذلك؛ وهو أكلُهُ من الشجرة، فهذا الذنب إنما حصل وفق علم الله الأزلي، وتقديره سبحانه وتعالى السابق، كما سيأتي في محاجَّةِ آدم لموسى عليهما السلام.

قوله (**وَنَهاهُ عَن شَجرَةٍ قَد نَفَذَ قَضاؤُهُ عَليهِ بِأَكلِها**): فالنَّهيُ كان عن قربان شجرة معيَّنة في الجنة والأكل منها، ولكن نَفَذَ قضاء الله سبحانه وتعالى في الأزل بأنهُ سيأكُلها، وتكون هذه المعصيةُ سبباً لهبوطه إلى الأرض.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٣٤٠) واللفظ له، ومسلمٌ في «صحيحه» رقم: (١٩٣).

قوله (ثُمَّ ابتلاهُ بِـما نَهاهُ عَنهُ مِنها): هذا الابتلاء من الله ﷻ لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هو لحكمةٍ عظيمة، وسيأتي مزيدُ بيانٍ لذلك.

قوله (ثمَّ سَلَّطَ عَليهِ عَدُوَّهُ فأَغواهُ عَليها): وهو إبليس، فلم يزل يوسوس لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجِهِ، ويغريه بالأكل منها بقوله: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾، وهكذا استمرَّ بذكر الأماني والآمال، وأقسم لهما بالله أنَّهُ ناصحٌ لهما: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ﴾، حتى أغواهما بعدَ محاولات عديدة ومتكررة، فأكلا من الشجرة.

وسرعان ما ندم وتاب مِن هذه المعصية، لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما فعلها عن غلبة نفسٍ، ولم يفعلها استكباراً وعناداً كما صنع عدوُّ الله بامتناعه من السجود لما أمره الله، فاستحقَّ اللعن، وأما آدم فقد تاب الله عليه، كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾.

قوله (وجَعلَ أَكْلهُ لَـها إلى الأرضِ سَببًا): كما قال تعالى ﴿ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا﴾ أي: من الجنة، وتقدَّم بيانُهُ.

قوله (فَما وَجدَ إلى تَركِ أَكلِهَا سبِيلاً، ولا عَنهُ لَـها مَذهبًا): لأنَّه أمرٌ قدَّرهُ الله في الأزل كما تقدَّم، وبهذا قد حجَّ آدمُ موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عندما قال له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: « **يا آدم أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخَطَّ لك بيده، أتلومني على أمر قدَّرَهُ الله عليَّ قبلَ أن يَخلُقَني بأربعين سنة؟** -فقال النبي ﷺ-: **فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٤٠٩)، ومسلم «صحيحه» رقم: (٢٦٥٢).

ونبِيُّ الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعاتب آدمَ على فعلِ الذنب، لأنه قد تاب منه، وتاب الله عليه كما تقدَّم، وإنَّما عاتبَهُ على أثر الذنب؛ وهو الهبوط إلى الأرض، فأجابه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ هذا التقدير كان قبل خلق السموات والأرض، فلابُدَّ من وقوعِهِ.

قوله (ثـمَّ خَلقَ لِلجَنَّةِ مِن ذُرِيَّـتِهِ أهلاً): ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقَ مِن ذُريَّة آدم للجنة أهلاً، وكذلك خَلَقَ من ذريته للنار أهلاً، كما صحَّ عن النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلقَ آدم، ثمَّ أخذَ الخلقَ من ظهرِهِ وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي قال: فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر**»(١).

قوله (فهُم بأَعمالِـها بمَشيئَـتِهِ عامِلُون): أي يُيَسَّرون لأعمال أهل الجنة من فعل الطاعة، والبعد عن المعصية، فهي وإن كانت واقعة باختيارهم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾، إلا أنها تابعةٌ لمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما تقدَّم.

قوله (وبِقُدرَته وبِإرادَتهِ يَـنفُذُون): أي: أنَّ أهل الجنة إنما ينفذون إليها ويفوزون بنعيمها بما قدَّرَهُ الله لهم، وبإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله (وخَلقَ مِن ذُريَّـتِهِ للنَّـارِ أَهلاً): تقدَّم حديثُ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ذلك آنفـًا.

ثُمَّ بيَّن بعضَ أوصاف أهل النار فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَخلقَ لَـهُم أَعيُنـًا لا يُبصِرونَ بها، وآذانـًا لا يسمَعونَ بِها، وقُلوبـًا لا يفقَهُونَ بِهَا): هذا الوصف الذي ذكرهُ المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ وصفـًا لأهل النار هو ما ذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ وصفـًا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» رقم: (١٧٦٦٠)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» رقم: (٤٨).

لهم في القرآن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

قوله (فهُم بذَلك عنِ الهُدى مَحجُوبون): أي حَجَبَهُم اللهُ عن الهدى جزاء إعراضهم عن الهدى والحق، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

قوله (وبأَعمالِ أَهلِ النَّارِ بسابقِ قَدَرِهِ يعملُونَ): كما تقدَّم.

المَتْن

والإيمانُ قَولٌ وعَمَلٌ، وهُما سِيَّان ونِظامانِ وقَرينانَ لا نُفَرِّقُ بَينَهُما، لا إيمانَ إلا بِعَمَلٍ، ولا عَمَلَ إلا بِإيمانٍ، وَالمُؤمِنونَ في الإيمانِ يَتَفاضَلونَ، وبِصالِحِ الأعمالِ هُم مُتَزايدُونَ، ولا يَخرُجونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الإيمَانِ، ولا يَكفُرونَ بِرُكوبِ كَبيرَةٍ ولا عِصيانٍ، ولا نُوجِبُ لِمُحسِنِهِم الجِنانَ بَعدَ مَن أَوجَبَ لهُ النَّبيُّ ﷺ، ولا نَشهَدُ عَلى مُسيئِهِم بالنَّارِ.

الشَّرح

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكلام على الإيمان ببيان حدِّه وما يتعلَّق به من مسائل، وبيَّن فيها مذهبَ أهل السنة على وجه الاختصار.

والإيمان في اللغة: مصدر آمنَ يُؤْمِنُ إيماناً فهو مؤمن، وهو مشتقٌّ من الأَمْن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقرَّ في القلب التصديق والانقياد[١].

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ تعريف الإيمان بالإقرار، أولى من تعريف بعضهم للإيمان بأنه مجردُ التصديق، لأُمورٍ عدَّة ذكرها[٢].

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٥١٩)، وانظر: «مفردات القرآن» للراغب (ص٩١).

(٢) انظر: «زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه» (ص٣٣).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد»(١).

وأما شرعًا: فهو قول وعمل، يزيدُ وينقص(٢).

وحقيقة الإيمان الشرعية لا سبيل إلى العلم بها إلا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ وكذلك جميعُ الحقائق الشرعية إنما تؤخذُ منهما، ويدلُّ لذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾، فالمراد بقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ أي: تفاصيل الإيمان، والأمور الداخلة فيه؛ لأن سبيل العلم بها هو الوحي: القرآن والسنة.

ويدل لذلك أيضًا حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَدِمَ وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدة، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفَّار مُضَر، وإنا لا نَخْلُص إليك إلا في الشهر الحرام، فمُرْنا بأمر فَصْل نُخْبِرُ به مَنْ وراءنا وندخل به الجنة...قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أمرَهُم بالإيمان بالله وَحدَه**»، **وقال** ﷺ: «**هل تدرون ما الإيمان بالله؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**الإيمَانُ باللهِ: شهادةُ أن لا إله إلّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسول اللهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصوْمُ رمضان، وأن تُعْطوا الخُمُسَ من المَغْنَمِ**»(٣).

فالمخاطبون في هذا الحديث عربٌ، ويعرفون دلائل اللغة، ومع ذلك قالوا: (**الله ورسوله أعلم**)؛ لعلمهم بأن الإيمان حقيقةٌ شرعيةٌ مبناها على التوقيف، ولا يكفي فيها مجردُ المعنى اللُّغوي.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٣٧).

(٢) انظر «العقيدة الواسطية» (ص١٦١) بشرح الهراس.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٥٣)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (١٢٥).

وقدْ فسَّر النبي ﷺ الإيمانَ في الحديث السابق بأعمال الدِّين وشرائع الإسلام الظاهرة، وسبق في حديث جبريل المشهور تفسير الإيمان بالعقائد وأمور الدين الباطنة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**الإيمانُ: أنْ تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمِن بالقدر خيره وشرِّه**»(١).

فدل مجموع الحديثين على أن الإيمان يعمُّ عقائدَ الدِّين الباطنة وأعماله الظاهرة، فجميعُ ما أمر الله سبحانه وتعالى به عبادَهُ ونهاهم عنه داخلٌ في مسمى الإيمان، ومن الأدلة على هذا العموم حديث أبي هريرة رضي الله عنه المعروف بحديث «الشُّعب» قال ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شعبةً، فأفضلها: قَوْلُ لا إله إلَّا الله، وأدناها: إماطةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعبةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(٢)، فهو صريحٌ في أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح.

والإيمان له أصل وفرع؛ لقول الله جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، فبيَّن الله سبحانه وتعالى لنا مثلَ الإيمان بالنخلة التي لها أصلٌ وفَرْعٌ؛ فالإيمانُ كذلك له أصل وفرع، فأما أصلُهُ فهو: أركان الإيمان الستة التي تقوم بقلب المؤمن، **وأما فرعُهُ -الذي هو منه-** فهو: الأعمال الصالحات، وأنواع القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله (الإيمان قول وعمل): أجمع أهل السنة على مضمون هذا التعريف.

قال الإمام الشافعيُّ رحمه الله: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين مِن بعدهم ممَّن أدركناهم أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ، لا يُجزئُ واحدٌ من الثلاثة إلا بالآخر»(٣).

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه»، كتاب: الإيمان، رقم: (١).

(٢) رواه البخاري رقم :(٩)، ومسلم رقم :(٣٥)، واللفظ له.

(٣) المصدر السابق (٥/ ٨٨)، وانظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٠٨).

وقال الإمام محمد بن حسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين، أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح) (١)

وقوله (الإيمان قولٌ وعمل): تناولت هذه الجملة أمرين:

١- **قول القلب**: وهو ما يقوم بالقلب من اعتقاد وتصديق وإيقان؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾.

٢- **قول اللسان**: وهو النطق بالشهادتين؛ شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، والإقرار بلوازمها؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

فالقول عند الإطلاق يشمل قول القلب اعتقاداً، وقول اللسان نطقاً، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: قولوا ذلك بقلوبكم معتقدين، وبألسنتكم ناطقين متلفظين، وكقوله ﷺ: «**قل آمنتُ باللهِ ثُمَّ استقم**».

ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق، ولذلك ذم الله جَلَّ جَلَالُهُ المنافقين على قولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

وأما إذا جاء القول مقيَّداً في النصوص فهو بحسب ما قُيِّد به كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾، وكقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾.

وزاد بعض السلف في تفسير الإيمان مع القول والعمل: (النيَّة) أو (الاعتقاد)، وهذه الزيادة هي للإيضاح والبيان، فلا تعارض بينها وبين ما تقدَّم.

---

(١) «الشريعة» (ص١١٩).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة الدين في تفسير الإيمان؛ فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، **وكل هذا صحيح**)[1].

٣- **عمل القلب**؛ ويشمل جميعَ أعمال القلب: كالنية والإخلاص والمحبة والانقياد والاقبال على الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ولوازم ذلك وتوابعه؛ كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾، وغير ذلك من النصوص الدالة على وجوب التوكل والإنابة والخشية، وسائر أعمال القلوب.

٤- **عمل اللسان**؛ وهي الأعمال التي لا تؤدى إلا به، كـ: تلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والدعاء وغير ذلك، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾.

٥- **عمل الجوارح**، وهي الأعمال التي لا تؤدى إلا بالجوارح، كـ: القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ أي صلاتكم، فسمَّى الصلاة إيمانـًا.

قوله (وهما سِيَّان): أي أن القول والعملَ مِثلان ونظيران داخلان في مسمى الإيمان.

وقوله (نظامان): أي متتابعان على نسق واحد.

وقوله (قرينان): أي ملازمان لبعضهما، وهذا كلُّه تأكيدٌ لحقيقة الإيمان.

قوله (لا نفرِّق بينهما): أي بالإثبات، فنُثبِتُ القولَ وننفي العمل، أو العكس، بل نُثبت الجميع؛ لأن ما أُثبت بدليل شرعي لا يُنفى إلا بمثله، فالاعتقاد وقول القلب دخل في

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٠).

مُسمَّى الإيمان بأدلة الكتاب والسنة، وكذلك الأعمال دخلت في مُسمَّاه أيضـًا بأدلة الكتاب والسنة، فلا يجوز حينئذٍ التفريق بينهما إلا بدليل.

قوله (**لا إيـمانَ إلا بعملٍ، ولا عَمَلَ إلا بإيـمانٍ**): هذه نتيجة لما سبق، فإذا كان القول والعمل سِيان وقرينان ونظامان للإيمان فالنتيجة: لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

وفي كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إبراز للحقيقة التي شاغب فيها المرجئة بإخراجهم العمل عن مسمى الإيمان؛ ولذلك سُمُّوا مرجئة، لأن الإرجاء: هو التأخير، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ أي أخِّره وأخاه، فلما أرجأ هؤلاء العملَ -أي: أخَّروه وأبعدوه- عن مسمَّى الإيمان؛ أطلَقَ عليهم السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ هذا اللقب.

قال الإمام الحُميديُّ (ت ٢١٩هـ) وقد أُخبِرَ عن أُناسٍ يقولون: من أَقرَّ بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت فهو مؤمن، ما لم يكن جاحداً... فقال: «**هذا الكفرُ الصُّراح، وخلاف كتابِ الله، وسنة رسوله ﷺ، وفعل المسلمين**، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾»[(١)].

فعقيدة أهل السنة والجماعة التي دلَّت عليها نصوص الوحيين أنَّ العملَ من حقيقة الإيمان، ولازمٌ له، وهو أيضًا ثمرتُهُ، فلا يمكن وقوع إيمانٍ باطنٍ صادقٍ بدون أعمال مطلقـًا، بل الجوارح تبعٌ لما يقوم بالقلب كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغةً، إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلبُ**»[(٢)].

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٥/ ٩٥٧)، و «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٧/ ٢٠٩).

(٢) رواه البخاري رقم: (٥٢) ومسلم رقم: (٤١٧٨).

قال شيخ الإسلام مبيِّنًا منزلة الجوارح من القلب: (قال أبو هريرة رضي الله عنه: «**القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده**»، وقول أبي هريرة رضي الله عنه تقريبٌ، وقول النبي ﷺ أحسنُ بيانًا فإن المَلِك وإن كان صالحًا فالجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه **بخلاف القلب فإن الجسد تابعٌ له لا يخرج عن إرادته قط**)(١).

قوله (**والمؤمنونَ في الإيمانِ يتفاضلونَ**): ومن الأدلة على ذلك: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ** ﴾، فهذه أقسام أهل الإيمان، والآية ظاهرة الدلالة في تفاضلهم: فالعباد منهم السابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه بالمعاصي والذنوب التي هي دون الكفر والشرك بالله عز وجل.

وقول النبي ﷺ: «**إنَّ أهلَ الجنَّة ليتراءونَ أهل الغرف من فوقِهم كما تراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في السَّمَاءِ، لتفاضُل ما بينهم**» فقال الصحابة رضي الله عنهم: (يا رَسُولَ اللهِ تِلكَ منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟)، قال النبيُّ ﷺ: «**بلى، والَّذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله، وصدَّقُوا المرسلين**»(٢).

فلا يدخل الجنة إلا من قام به هذا الوصف؛ وهو الإيمان بالله ورسوله ﷺ، والناس ليسوا فيه سواء فمنهم من حاز به أعلى الدرجات، ومنهم من قام به الإيمان الواجب فقط؛ فكانت درجتهُ في الجنة دون ذلك.

---

(١) «مجموع الفتاوى»، (٧/ ١٨٧)

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٦١٨٨) ومسلم في «صحيحه» رقم: (٧٣١٩).

قوله (وبصالح الأعمال هم متزايدون): يُبيِّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة، وكذلك العكس في النقصان.

واعلم أنَّ كلَّ دليل دلَّ على زيادة الإيمان فهو يدلُّ على نقصانه بطريق اللزوم، وكذا العكس، لأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر جملة من الآيات المُصَرِّحة بزيادة الإيمان: (فثبت بهذه الآيات أن الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة فعُدِمَت الزيادة كان عدمها نقصـًا)[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضـًا: (وإذا قَبِل الزيادة قَبِل النقص)[٢].

فمن أدلَّة زيادة الإيمان قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

ومن أدلَّة نقصان الإيمان قول النبي ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[٣]، فالحديث دليل على أنَّ من لا أمانة له فقد نقص فيه شيء من واجبات هذا الدين، فيذهب عنه كمال الإيمان الواجب وتمامه، ويكون بذلك مؤمنـًا ناقص الإيمان.

وقد سُئِلَ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن نقصان الإيمان قال: (ما انتقصت أمانة رجل إلا نقص إيمانه)[٤].

قوله (ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان): فالذنوب والمعاصي التي يَجْنيها العبدُ

(١) «شعب الإيمان» (١/ ١٦٠).

(٢) «الاعتقاد» (١١٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٥٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم: (٧١٧٩).

(٤) أخرجه الخلال في «السنة» رقم (٧٨٩).

على نفسه لا تخرجُهُ من الإيمان طالما أنها دون الشرك بالله ﷻ، ولكنها تُنْقِصُ إيمانه، ويُطلق عليه: (مؤمن ناقص الإيمان)، أو (مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته)، فلا يُعطى للعاصي الإيمان المطلق والتام، ولا يُسْلب منه مطلق الإيمان؛ فيخرج من الدين.

قال (ولا يكفرون بركوبِ كبيرةٍ ولا عصيانٍ): عَرَّف الصحابيُّ الجليل ابن عباس رضي الله عنهما الكبيرةَ بأنها: ذنبٌ ورد فيه حدٌّ، أو وعيدٌ، أو لعنٌ، أو نفيُ الإيمان(١).

وقد بيَّن المصنِّف رحمه الله أن المسلمَ قد يجتمعُ فيه إيمان ومعصية، فلا يخرج عن مسمَّى الإيمان بفعلِهِ لبعض الكبائر، لأن معه مطلق الإيمان كما قال النبي ﷺ:«**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٢).

وخالفت الخوارج والمعتزلة هذه العقيدة التي دلَّ عليها الكتاب والسنة فقالوا: إن الإيمان شيءٌ واحدٌ لا يتجزأ؛ فإذا ذهب بعضُهُ ذهب كلُّهُ، ولذا كان مرتكب الكبيرة ذاهبُ الإيمان عند الفرقتين، لكنَّ الخوارج قطعوا بكفره، ونازعتهم المعتزلة في الاسم وقالوا: نحن لا نسمِّيه مؤمنًا ولا كافراً، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: منزلة بين الإيمان والكفر، واتفقوا جميعًا أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم، والعياذ بالله.

وتقدَّم من نصوص الوحيين وكلام أهل العلم -بل وإجماعهم- ما يُبطل هذا المذهب الفاسد(٣).

---

(١) «جامع البيان» للطبري (٦/ ٦٥٢) بمعناه، وانظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١١/ ٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه» رقم :(٣٤)، ومسلم في « صحيحه» رقم :(٥٨).

(٣) انظر للاستزادة: «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» للإمام أبي الحسين يحيى بن أبي الخير العِمراني الشافعي (٣/ ٧٥٥)، «زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه» (ص٣٤٨ وما بعدها).

قوله (**ولا نوجب لمُحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي ﷺ، ولا نشهد على مسيئهم بالنار**): بيَّن أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لمعينٍ بجنة ولا نار، إلا من شهد له الله ورسوله ﷺ بالجنة؛ كأبي بكر وعمر، وباقي العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم.

فمهما كان العبدُ محسنًا فإنهم لا يُشهدُون له بالجنة، ولكنهم يرجون له الجنة، ويقولون: (نَحسَبُهُ من الصالحين) أو (نرجو أنه من أهل الجنة) ونحوها من العبارات.

قال الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه»: (بابٌ لا يقول فلان شهيد) وأورد حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلمَّا مال رسول اللهِ ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدعُ لهُمْ شاذَّة إلاَّ اتَّبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منَّا اليومَ أحدٌ كما أجزأ فلانٌ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أما إنَّهُ من أهل النَّارِ**»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبدًا، قال: «**فخرج معه كلَّما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فاستعجل الموت فوضع نَصْلَ سيفه بالأرْضِ وذُبابَهُ بين ثدييه ثُمَّ تحامل على سيفه فقتل نفسه**»، فخرج الرَّجُلُ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ فقال: أشهَدُ أنك رسول الله، قال: «**وما ذاك؟**» قال: الرَّجُلُ الذي ذكرت آنفًا أنه مِنْ أهل النَّارِ فأعْظَمَ النَّاسُ ذلك فقلت: أنا لكم به فَخَرَجتُ فِي طَلَبه حَتَّى جُرِحَ جُرحًا شَدِيدًا فاستَعْجَل الموتَ فوضع نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأرض وَذُبابَهُ بين ثدييه ثمَّ تَحامَلَ عليه فقتل نفسَهُ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**إنَّ الرَّجُلَ ليعمَلُ عمل أهل الجَنَّة فيما يبدو للنَّاسِ وهو من أهل النار، وإنَّ الرجل ليعمل عمل أهل النَّار فيما يبدو للنَّاسِ وهو مِن أهل الجَنَّةِ**»[١].

---

(١) رواه البخاري رقم: (٢٧٤٢)، ومسلم رقم: (٣٢٠).

فمن قتل في معركة قيل عنه: نحسبه من الشهداء أو نرجو أن يكون شهيداً؛ لقوله ﷺ: «**الله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيلِهِ**»(١) أي يُجْرَحُ في سبيله.

وأما من كان مسيئًا من أهل الإيمان بارتكابه للذنوب والمعاصي التي هي من مُوجبات غَضِب الله وأليمِ عِقابه، فلا يُجزَم في كونه بالنار.

وأما قول الله ﷻ فيمن قتلَ مؤمنًا متعمِّداً: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ لا يدلُّ على جواز تعيين أحدٍ من المسلمين بأنه في النار **لأنَّ العبد قد يقوم به مانعٌ يمنع هذا الوعيد**: كالتوبة، أو الحسنات الماحية، أو شفاعة النبي ﷺ، أو ابتلاءٌ في الدنيا يُكفِّرُ عنه هذا الذنب، وغير ذلك من الموانع.

لكن يُخشى على العبدِ المسيء سخطُ الله ﷻ وعقوبتُهُ جرَّاء هذا الجُرم الكبير، وربُّنا عَزَّوَجَلَّ أخبر أن عذابَهُ أليمٌ، وأنه ذو بطشٍ شديد، وأنه شديد العقاب، فلا ينبغي الاستهانة والأمن من مكرِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، باب «لا يقول فلان شهيد»، قبل رقم: (٢٨٩٨)، بهذا اللفظ مُعلَّقاً مجزوماً به، وأخرجهُ مسنداً برقم: (٢٨٠٣)، بلفظ: «والذي نفسي بيده لا يُكْلَم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة، واللون لون الدم، والريح ريح المسك».

المَتْن

والقُرآنُ كَلَامُ اللهِ ﷻ، ومِن لَدُنه، ولَيسَ بِمَخلُوقٍ فَيَبِيدُ.

الشَّرحُ

قوله (**والقرآن كلام الله**): يُقرِّر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الكلمات عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن، وأنَّهُ كلام الله، تكلَّمَ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقيقةً، وأنَّهُ مُنزَّلٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله (**ومن لَـدُنهُ**): أي تكلَّم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ابتداءً بحرف وصوت، وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مباشرة، وسمعه رسوله محمد ﷺ من جبريل بعد ذلك، وسمعه الصحابة من رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

قوله (**وليس بمخلوق**): هذه الجملة قرَّرها السلف عند ظهور بدعة التَّجَهُّم، وقولهم: (إن القرآن مخلوق، وإضافة الكلام له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما هي إضافة مخلوقٍ إلى خالقه)، فقرَّر السلف هذه الجملة إحقاقًا للحقِّ، ونُصحًا للخلق.

وأما قولهم: إنه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، فيُجاب عنه بما ذكره العلامة ابن أبي عبد العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المُضافَ إلى اللهِ ﷻ نوعان:

- «**صفات لا تقوم بأنفسها**: كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فَعِلْمُهُ وكلامُهُ وقدرتُهُ وحياتُهُ **صفات له**، وكذا وجْهُهُ ويده سبحانه وتعالى.

- **والثاني**: **إضافة أعيان مُنفصلة عنه**: كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوقٍ إلى خالِقِهِ، لكنها إضافة تقتضي تخصيصًا وتشريفًا، يَتَمَيَّزُ بها المضافُ عن غيرِهِ» (١).

وأهل البدع الذين لا يُثبتون أنَّ القرآن كلام الله عز وجل حقيقة غير مخلوق يذهبون مذاهب شتَّى؛ فبعضهم يقول: إن الله عز وجل خلقَ القرآن في اللَّوح المحفوظ، وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ!

ولذلك نجدُ بعض القرَّاء ممَّن تلوَّثت عقيدَتُه بهذه اللوثة يكتب في الإجازة إسناده إلى النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن اللوح المحفوظ! فراراً من إثبات تكلُّم الله سبحانه وتعالى بهذا القرآن، بخلاف من كان على السنة فإنه يكتب في آخر إجازته للقرآن: عن محمَّدٍ ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن رب العالمين عز وجل.

ولذا عندما ترجمَ الحافظ ابن كثير للإمام الشافعيِّ في كتابه «البداية والنهاية» ذكرَ إسنادَهُ في القرآن فقال: «وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، عن شبل، عن ابن كثير عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، عن جبريل، عن الله عَزَّوَجَلَّ» (٢).

---

(١) «شرح الطحاوية» (٢/ ٥٦٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤/ ١٣٣).

قوله: (**وِمن لَدُنهُ**): أي الكلام بدأ منه ﷻ، وجبريل عليه السلام مُبلِّغ عنه، وكذا نبيُّنا محمد ﷺ مُبلِّغ عنه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، فلم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقةً، فإن الكلام إنما يُضاف حقيقة إلى من قاله ابتداءً لا إلى من قاله مُبلِّغًا مؤديًا[1].

قوله: (**ولَيسَ بِمَخْلوقٍ فَيَبِيدُ**) فالمخلوقات كُلُّها تَبيد، أما القرآن فليس بمخلوق، ولهذا جاء أنَّ الله ﷻ يرفعُ القرآن من الصُّدور ومن السطور، فلا يجدُ الناسُ منه شيئًا في صدورهم ولا في مصاحفهم.

وقد اتُّهِمَ الإمام المزني رحمه الله كما تقدَّم في مطلع هذه الرسالة بأنه يقول بخلق القرآن أو أنَّه يتوقَّفُ في هذه المسألة، فبيَّن رحمه الله في هذه الكلمات مذهبَه الذي هو مذهب أهل السنة ليدفعَ عن نفسه هذه التهمة، وليبيِّن الحقَّ لمن طلبه.

وقد كان بعضُ العلماء يمتنعُ عن الخوض في هذه المسألة للبطش الشديد، والمحنة العظيمة التي وقعت على العلماء والقضاة في ذاك الوقت بسبب هذه المسألة، ومن ذلك ما حصل لزميله في الطلب الإمام البويطي رحمه الله كما تقدَّم في صدر هذا الكتاب بيانٌ لمحنته وسجنه وتعذيبه حتى توفي رحمه الله، فلعلَّ هذا الأمر هو الذي دفعَ الإمام المزني في بادئ الأمر أن يتوقف عن الخوض فيها طلبًا للسلامة من هذه الفتنة.

ويدلُّ لذلك ما أخرجه اللالكائي بإسناده عن إبراهيم بن أبي داود البرلسي المصري قال: (كنا عند نُعَيم بن حماد جلوسًا، فقال نعيمٌ للمُزَني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول: إنه كلام الله، فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق، قال:

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٣/ ١٤٤)

وتقول: إن الله يُـرَى يوم القيامة؟ فقال: نعم، قال: فلمَّا افترق الناس قام إليه المزنيُّ فقال: يا أبا عبد الله شَهَّرتني على رؤوس الناس، فقال: **إن الناس قد أكثروا فيك فأردتُّ أن أبرئك)**[1].

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٥٦٣).

المتن

وكَلِماتُ اللهِ وقُدرَةُ اللهِ ونَعتُهُ وَصِفاتُهُ كامِلاتٌ غيرُ مَخلوقاتٍ، دائِماتٌ أَزَلِيَّاتٌ، ولَيسَتْ بِمُحدَثاتٍ فَتبِيدُ، ولا كانَ رَبنا ناقِصًا فَيزِيدُ، جَلَّت صِفاتُهُ عَن شبه صِفاتِ المَخلوقينَ، وقَصرتْ عَنهُ فِطَنُ الواصِفينَ، قَرِيبٌ بِالإِجابَةِ عند السُّؤال، بَعيدٌ بِالتَّعَزُّزِ لا يُنال، عالٍ على عَرشِهِ، بائِنٌ مِن خَلقِهِ، مَوجُودٌ ولَيسَ بِمَعدوم ولا بِمَفْقودٍ.

الشرح

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ عقيدة أهلَ السنة والجماعة في القرآن وأنه كلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ ووحْيُهُ وتنزيله، وأنه ليس بمخلوق، ذكر بعدَهُ عقيدةَ أهلِ السنة والجماعة في عموم الصِّفات، وبيَّن أن جميعَها غيرُ مخلوقة، بل ربُّنا جَلَّ جَلَالُهُ هو وحدَهُ الخالق، وكلُّ ما عداه مخلوق، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾.

ولا يُقال في شيء من صفاته إنها مخلوقة؛ لا في صفة الكلام ولا القدرة ولا السَّمع ولا البصر ولا الإرادة ولا غيرها من صفات ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله (وكَلِماتُ اللهِ): كلمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوعان:

- **الأول**: كلماته الكونية القدرية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

- **الثاني**: كلماته الشرعية الدينيَّة، ومنها: الكتب المنزلَّة على الرسل، والتي اشتملت على الأمر والنهي والأحكام، ومن هذه الكتب القرآن الكريم.

وكلٌّ من الكلمات الكونيَّة والكلمات الشرعية: (**كامِلات غيرُ مَخلُوقاتٍ**) كما قال النبي ﷺ: (**مَن نَزَلَ منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ، حتى يرتَحِلَ من منزلِهِ ذلك**)[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**التامّات**»: أي كاملات لا يعتريها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، لأنه كلام رب العالمين.

ومن أوجه كمال كلام الله سبحانه وتعالى أنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، ومنها أنه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، ومنها أنه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

وفي الحديث دليلٌ أن كلمات الله غير مخلوقة، إذ لو كانت مخلوقةً لما جاز أن يُستعاذ بها.

قوله (**وقُدرَةُ اللهِ**): القدرة هي صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، وقدرةُ الله شاملة لكل شيءٍ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فكما أنَّ مشيئته نافذة، فقدرته شاملة لكلِّ شيء، فكلُّ ما شاءهُ الله وقع، لا رادَّ لحكمه ومشيئته.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (٢٧٠٨).

قوله (وَنَعتُهُ وصِفاتُهُ كامِلاتٌ غَيرُ مَخلُوقاتٍ): والنَّعتُ هو الصِّفة، فجميع صفات الله ﷻ كاملات غير مخلوقات كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾

والمصنف يُبيِّنُ بهذا الكلام أنَّ منهجَ أهل السنة والجماعة في صفات الله ﷻ واحدٌ، وأنَّ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر[١].

قوله (دائِماتٌ أَزلِيَّاتٌ): أي: لا يسبقها عدمٌ ولا يَلحَقُها فناء، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾، فالأول: هذا في الأزل، والآخر: فيما لم يزل وهو ما يُستقبل.

قوله (ولَيسَت بِمُحْدَثاتٍ فَتَبِيدُ): هذا تأكيدٌ للمعنى السابق، **والمحدَث** هو الذي وُجِدَ بعد أن لم يكن، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾، فصفات الله ﷻ ليست بمحدثات فتبيد.

قوله (ولا كانَ رَبُّنا ناقِصاً فَيَزِيدُ): فالله ﷻ مُتَّصِفٌ بصفاته بالأزل، فلم يكن ناقصاً ثمَّ طرأ عليه الكمال ﷻ، بل هو كامل بصفاته في الأزل وفيما لم يزل، ولا يجوز وصفُ الله ﷻ بنقص في أيِّ وقتٍ من الأوقات، لأنَّ له الكمال المطلق دائماً وأبداً وأزلاً.

قوله (جَلَّت صِفاتُهُ عَن شِبهِ صِفاتِ المَخلُوقين، وقَصرَت عَنهُ فِطَنُ الواصِفِينَ): يشيرُ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهاتين الجملتين إلى بطلان التشبيه، وبطلان التكييف.

فالجملة الأولى: (جَلَّت صِفاتُهُ عَن شبه صِفاتِ المَخلُوقين): فيها بطلان التشبيه، وقياس الله بخلقه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل عن المشبهة، فأجاب أنهم الذين يقولون: (له بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي)(١).

وربُّنا منزَّهٌ عن أن تكون صفاته كصفات المخلوقين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: لا سَمِيَّ له.

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

والتشبيه نوعان، كلاهما مُنزَّهٌ عنه رب العالمين:

- **تشبيهٌ للخالق بالمخلوق**، كقول القائل: يدُ الله كأيدينا، وسمعه كسمعنا، وهكذا.

- **تشبيهٌ للمخلوق بالخالق**؛ سواءٌ أكان المخلوق نبيًّا أم وليًّا أم غيره؛ بأن يُعطى المخلوقُ بعض خصائص الخالق، وهذا التشبيه يقعُ في أنواع التوحيد الثلاثة:

* فمنهم من يُشبِّه المخلوقَ بالخالقِ في ربوبيته.

* ومنهم من يُشبِّه المخلوقَ بالخالقِ في ألوهيته.

* ومنهم من يُشبِّه المخلوقَ بالخالقِ في أسمائه وصفاته.

وقد اجتمعت أنواع التشبيه الثلاثة في قول الناظم وهو يغلو في مدح النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذُ بهِ ... سواك عند حلول الحادث العمم
وإن من جودك الدُّنيا وضرَّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٣٢٦) رقم: (٢٥٢).

فقوله: (**ما لي من ألوذ به سواك...**) تشبيهٌ للمخلوق بالخالق في الألوهية، فإنَّ اللَّوْذَ عبادة لا تكون إلا لله جل جلاله.

وقوله: (**وإن من جودك الدُّنيا وضرتها**) تشبيهٌ للمخلوق بالخالق في الربوبية، ومرادُهُ بـ(**وضرتها**) أي الآخرة، فإن تصريف الدنيا والآخرة ورزقهما كلُّه بيد الله وحدهُ لا شريك له فيها.

وقوله: (**ومن علومك علم اللوح والقلم**)، تشبيهٌ للمخلوق بالخالق في الأسماء والصفات، فإن العلم الواسع لما هو مكتوبٌ في اللوح هو علمُ الله سبحانه وتعالى وحدَه، لأنه تعالى وَسِع كُلَّ شيءٍ علما.

والجملة الثانية: (**وقَصرت عَنهُ فِطَنُ الواصِفِين**): فيها إبطالٌ للتكييف، لأن الـمُكيِّف جعلَ عقلَهُ قادراً على بلوغ كُنْهِ صفات الله، فخاض في التكييف.

والفِطَنُ هي: العقول والأفهام، ومراده رحمه الله أن العقول والأفهام هي أقلُّ وأحقرُ مِن أن تدركَ حقيقة صفاته وكيفيَّتَها، وكلُّ كَمالٍ يُقدِّره الذهن لله سبحانه وتعالى فإنَّ اللهَ أعظم من ذلك.

وقد لقيَ الإمامُ عبد الرحمن بن مهدي غلامـًا ابتُلِيَ بالتكييف، فقال له: (رويدك يا بُنَـيَّ حتى نتكلم أول شيء في المخلوق، فإذا عجزنا عن المخلوقات، فنحن عن الخالق أعجز وأعجز؛ فأنا أعطيك مِثالاً -وذكر له حديث النبي عليه الصلاة والسلام أنه رأى جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح قد سدَّ الأُفق- ثمَّ قال له الإمام عبد الرحمن: صِفْ لي خلقـًا من خلق الله له ستمائة جناح)، فبقيَ الغلامُ ينظرُ إليه، فقال له الإمام: (يا بُنَي، فإنِّي أُهوِّن عليك المسألة، وأضع عنك خمسمائة وسبعة وتسعين، صِفْ لي

خلقًا بثلاثة أجنحة، ركب الجناحَ الثالث منه موضعًا غير الموضعين اللذين ركبهما الله حتى أعلم؟) فقال الغلام بعد ذلك: (يا أبا سعيد، نحن قد عجزنا عن صفة المخلوق، ونحن عن صفة الخالق أعجز وأعجز، فأُشْهِدك أني قد رجعت عن ذلك، وأستغفر الله)[١].

وممَّا سبق يتبيَّنُ أن التمثيلَ أعمُّ من التكييف، فكلُّ مُمَثِّل مُكيِّفٌ؛ لأنه جعل لصفات الله سُبحانه وتعالى كيفيةً مماثلةً لصفات المخلوقين، **وليس كلُّ مكيِّف ممثلاً**؛ لأنه وصفَ الله بوصف قدَّرَهُ في ذهنه واخترعه في فهمه وجعله لرب العالمين سُبحانه وتعالى، وليس لهذا التَّخيُّل في الذهن مماثلاً في المخلوقين، وكلٌّ من التمثيل والتكييف باطلٌ وضلالٌ كما تقدَّم.

وينبغي التنبيهُ إلى أن إبطالَ مذهب التكييف لا يعني نفي الكيفية عن صفات الله، فإنَّ صفات الله سُبحانه وتعالى لها كيفيةٌ قطعًا، وإنما المنفيُّ هو علمُنا بهذه الكيفية.

قوله (قَريبٌ بِالإِجابَةِ عندَ السُّؤال): فربُّ العالمين قريبٌ بالإجابة لعباده عندما يسألونه، كما قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وقال أيضًا: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكنا إذا أشرفنا على واد، هلَّلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا»، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسِكُم، فإنكم**

---

(١) أخرجها بهذا التمام اللالكائيُّ في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٥٨٥).

لا تدعون أَصَمَّ ولا غَائِبًا، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جَدُّه» (١).

قوله (**بَعِيدٌ بِالتَّعَزُّزِ لا يُنال**) أي: فالله ﷻ له العزَّة الكاملة، فلا يُنال جنابُه، وقد صحَّ في الحديث القدسي أنه ﷻ يقول: « **يا عِبَادي إِنَّكُم لَنْ تَبلُغُوا ضَرِّي فَتضُرُّوني**» (٢).

قوله (**عالٍ عَلى عَرشِهِ**): تقدَّم ذكر العلو في بداية هذه الرسالة، وقد أعادهُ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع تأكيداً له.

قوله (**بـائِنٌ مِن خَلقِـهِ**): هذه الكلمة يذكرها علماء السلف، وهي كلمةٌ صحيحة، ولا إشكال فيها، لأنها من باب الإخبار عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه ليس في ذاتِهِ شيءٌ من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، فهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه.

وأهل العلم إنما احتاجوا لذكرها ليبيِّنوا بطلان مذهب الجهمية القائلين : (إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كلِّ مكان) -تعالى الله عن ذلك-.

وذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصةً عن أحد القضاة وهو هشام بن عُبيد الله الرازي أنَّهُ قضى بالسجن لأحد الجهمية، وأُخبر أنه تاب من بدعته، فأراد هشام الرازي أن يمتَحِنَهُ فقال له: (أتشهدُ أنَّ اللهَ على عرشِهِ، بائنٌ من خلقِهِ؟) فقال الجهميُّ: (لا أدري ما بائنٌ من خلقه) فقال هشام: (ردُّوهُ فإنه لم يَتُبْ بعد) (٣).

قوله (**مَوجودٌ ولَيسَ بِمَعْدُوم ولا بِمَفقودٍ**): وهذا أيضـًا إبطالٌ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمقالة الجهمية: (أن الله لا فوق ولا تحت ولا عن يمين العالم ولا عن شماله... الخ)، فوصفوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعدم، تعالى الله عما يقولون، وسبحان الله عما يصفون.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٩٩٢)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٥٧٧).

(٣) «العلو للعليِّ الغفَّار» للذهبي (ص١٦٩).

المتن

والخلقُ مَيِّتُونَ بِآجالِهم عِندَ نَفادِ أَرزاقِهم وانقِطاعِ آثارِهم، ثُمَّ هُم بعدَ الضَّغطَةِ فِي القُبُورِ مُساءَلُون، وبعدَ البِلى مَنشُورونَ، ويومَ القِيامَةِ إِلى رَبِّهِم مَحْشُورونَ، ولَدى العَرضِ عَلَيهِ مُحاسَبونَ بِحَضرَةِ المَوازِينِ ونَشْرِ صُحُفِ الدَّواوِينِ، أَحصاهُ اللهُ ونَسُوهُ، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لَو كانَ غَيرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الحاكِمَ بينَ خَلقِهِ لكِنَّهُ اللهُ يَلِي الحُكمَ بَينَهُم بِعَدلِهِ بِمِقدارِ القائِلَةِ فِي الدُّنيا ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾، كما بَدَأَهُ لَهُم مِن شَقاوَةٍ وسَعادَةٍ يَومَئِذٍ يَعُودونَ، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

الشرح

قوله (والخلق ميتون بآجالهم): هذه أوَّلُ مراحل الآخرة وهي الموت، والموت حَقٌّ على جميع المخلوقات، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

وجميع الخلقِ سيموتون وفقَ أجلٍ محدود ينتهون إليه، لا يتجاوزونه ولا يقصرون عنه، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

قوله (عند نفاد أرزاقهم، وانقطاع آثارهم): فلا يموت العبدُ حتى يستنفدَ رزقَهُ؛ من مالٍ، أو ولد، أو علمٍ، أو أدنى من ذلك أو أكثر.

ويدلُّ لذلك ما روى ابن مسعود ﷺ قال: قالت أم حبيبة ﷺ: «اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية»، فقال لها رسول الله ﷺ: **«إنكِ سألتِ الله تعالى لِآجال مَضْروبة، وآثار مَوْطُوءة، وأَرْزاقٍ مَقْسومة، لا يُعَجِّلُ شيئًا منها قبل حِلِّهِ، ولا يُؤَخِّرُ منها يومًا بعد حِلِّهِ، ولو سألتِ اللهَ تعالى أن يعافِيَك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيراً»**.

وفي رواية: **«قد سألتِ الله لِآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يُعجِّل شيئًا قبل حِلِّه أو يؤخِّر شيئًا عن حِلِّه، ولو كُنْتِ سألتِ الله ﷻ أن يُعيذَكِ من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل»**[1].

قوله (ثـمَّ هُم بعد الضَّغطة في القبور مُساءَلون): أي قبل السؤال ينضَمُّ القبرُ على مَن فيه سواء كان مؤمنًا أو كافراً؛ لقول النبي ﷺ: **«لو نجا أحدٌ مِن ضَمَّةِ القبر لنجا سعد بن معاذ»**[2].

وبعد هذه الضمة تبدأُ فتنة القبر؛ وهي سؤالُ الـمَلَكين للعبد؛ فيقولان له: (مَن ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟).

واسم الملكين: منكرٌ ونكير؛ كما صحَّ ذلك عن النبي ﷺ قال: **«إذا قُبِرَ الميت -أو قال:**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: القدر، رقم: (٢٦٦٣)

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» -واللفظ له- رقم: (١١٢٧)، والطبرانيُّ في «المعجم الكبير» رقم: (١٠٨٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» رقم : (٥٣٠٦).

أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَر، والآخر النَّكِير»[١].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (نؤمن بهذا القبر وبمنكر ونكير)، وروجع في منكرٍ ونكيرٍ، فقال: (هكذا هو)، يعني أنهما منكر ونكير[٢].

والدليل على ما تقدم من فتنة القبر قول رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمعُ قرعَ نِعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل -لمحمد ﷺ-، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعًا، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيت ولا تَلَيت، ويُضْرَب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**»[٣].

وجاءت زيادة في هذا الحديث فيها: « **إِنَّ المؤمنَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ أتاه ملك فيقول له: ما كنت تعبد؟ فإن هداهُ الله قال: كنت أعبد الله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما يسأل عن شيء غيرها...**»[٤].

والعذاب في القبر على نوعين:

- **عذاب دائم مستمر**، ويكون هذا للكافر، كما قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ أي باستمرار.

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه»، رقم: (١٠٧١). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٣٩١).

(٢) انظر: «الروح» لابن القيم (ص١٦٦).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الجنائز رقم(١٣٧٤)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٢٨٧٠).

(٤) أخرجها أبو داود في «سننه»، رقم: (٤٧٥١) وصححها الألباني في « السلسلة الصحيحة» رقم: (١٣٤٤).

- **وعذابٌ منقطعٌ على قدرِ المعصية؛** وهذا لعُصاة أمة محمد ﷺ لقوله: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير**»(١)،أي أنهما لا يعذَّبان في أمرٍ يَشُقُّ تَـرْكُه.

والعذاب والنعيم في القبر يقع على الأرواح والأبدان، ويشمل كلَّ من هو مُستَحِقُّه؛ سواء: قُبِرَ، أو احترق، أو غرق، وإنمَّا أُضيف للقبر باعتبار الأصل والغالب.

قوله (**وبعد البِلى منشورون**): أي مبعوثون، فبعد أن تَبلى أجسامُهم، وينفخ بالصور، تُشَقُّ قبورهم، ويُحْييهم الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾.

قوله (**ويوم القيامةِ إلى ربِّهم محشورون**): الحشر في اللغة: هو الجمع، والمراد جمع أجزاء الإنسان بعد تفرُّقها، وإحياؤهُ في ذلك الموعدِ، فيُحشر الناسُ على صعيد واحدٍ حُفاةً عُراةً غُرْلاً(٢)، وتدنو منهم الشمس حتى تكون بمقدار ميل، ويكون الناس على قدر أعمالهم في العرق(٣)؛ إلا من عصم الله كالسَّبعة الذين يُظِلِّهم الله بظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظِلُّه(٤)، ولن يفوت هذا الموقف العظيم أحدٌ، قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

قوله (**ولدى العرض عليه محاسبون**): العرض على الله ﷻ والحساب ثابت

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم: (٢١٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب: الطهارة، رقم: (٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: تفسير القرآن، رقم: (٤٦٢٥) ، ومسلم في «صحيحه»، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها: (٢٨٦٠).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، رقم (٢٨٦٤)

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم: (٦٦٠)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب: الزكاة، رقم: (١٠٣١).

بالكتاب والسنة والإجماع، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، والحسابُ: هو إطْلَاعُ العِبادِ على أعمالهم يوم القيامة، وهو على نوعين:

- **العرض**: بأن يخلو الربُّ بعبده المؤمن؛ فيُقَرِّرُهُ بذنوبه حتى يُقِرَّ ويعترفَ.

- **المناقشة**: بأن يُسائِلَهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذنوبه، فمن نوقش الحِسَاب عُذِّبَ[1].

ومن الناس من يدخلُ الجنة بلا حساب ولا عذاب كما صحَّ ذلك عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[2].

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبةَ من توزن حسناته وسيئاته؛ لأنه لا حسنات لهم؛ ولكن تُعَدُّ عليهم أعمالهم، ويقرَّرُون بها، ويُجْزَون عليها[3].

قوله (**بِحَضرةِ الموازين**): ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ الميزان الذي يُنصبُ يوم القيامة، وهو ميزانٌ حقيقيٌّ واحدٌ له كفتان، وجُمِع في قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ باعتبار ما يوزن عليه؛ فإن الأعمال توزن، وصحائف الأعمال توزن أيضـًا، ويوزن العبدُ نفسُهُ كذلك.

قوله (**ونَشْرِ صحفِ الدَّواوين**): فَتُفَرَّقُ الصحف وتفتح السجلات التي كُتِبَت فيها الأعمال، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، فيجد العبدُ فيها ما عَمِل من أول حياته إلى موته بكلِّ تفاصيله مكتوبـًا، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: العلم، رقم: (١٠٣)، ومسلم في «صحيحه»، رقم: (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الرقاق، باب: يدخلُ الجنة سبعون ألفـًا بلا حساب، رقم: (٦٥٤١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب: الإيمان، رقم: (٢٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: الزهد والرقاق، رقم: (٢٩٦٨).

قوله (أحصاه الله ونسوه): أي أن العاملين قد نسوا ما عملوه في الدنيا، لكنَّ الله ﷻ أحصاه وهو مجازيهم عليه، قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

قوله (في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة): وهذا اليوم هو يوم القيامة؛ وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (هذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة)[١].

وأما المؤمنون فيكون هذا اليوم عليهم كقدر الوقت بين الظهر والعصر، كما صحَّ عن النبي ﷺ قال: «**يوم القيامة كقدر ما بين الظهر والعصر**»[٢].

قوله (لو كان غير الله ﷻ الحاكم بين خلقِهِ): والمعنى أنَّ مقدارَ محاسبة الله ﷻ الخلقَ فيه ومعاقبتهُ إيَّاهم مِقدارُهُ خمسين ألف سنة لو كان غيرُ الله الـمُحاسِب.

قوله (لكنهُ اللهُ يلي الحكمَ بينهم بعدله، بمقدار القائلةِ في الدُّنيا ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾): هذا القول ذكره بعض المفسرين، وتقدَّم أنه على المؤمنين يكون بهذا القدر، وأما الكافرين فيكون مقدارُهُ خمسين ألف سنة.

قوله (كما بدأه لهم من شقاوةٍ وسعادةٍ يومئذٍ يعودون): أي كما قُدِّرَ للإنسان وكُتِبَ من المآل يعود: إما أن يكون من أهل السعادة أو أن يكون من أهل الشقاوة، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

---

(١) أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٤) مرفوعاً، وأخرجه أيضاً موقوفاً على أبي هريرة برقم: (٢٨٤)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم: (٢٤٥٦)، وقال: (وأرى أن الموقوف في حكم المرفوع، بل هو أوضح وأبين، والله أعلم).

المتن

وأهل الجنَّة يومئذٍ فِي الجنَّة يتنعمون، وبصنوف اللذَّات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يُحْبَرون، فهم حِينَئِذٍ إِلَى رَبهم ينظرُون، لا يمارون فِي النَّظر إِلَيهِ ولا يَشكُّونَ، فوجوهُهُم بكرامتهِ ناضِرَة، وأعيُنُهم بفضله إِلَيهِ ناظرة، في نعيم دائِمٍ مُقيم، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

وَأهل الجَحْدِ ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، و ﴿فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾.

خلا من شَاءَ الله من المُوَحِّدين إخراجهم مِنهَا.

الشرح

قوله (وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعمون، وبِصُنوفِ اللذات يتلذذون، وبأفضلِ الكرامة يحبرونَ): كما أخبرنا الله جل جلاله عن هذا النعيم في آيات عديدة منها: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً

عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

قوله (فهم حينئذ إلى ربِّهم ينظرونَ): لمَّا ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعيم أهل الجنة أتبعه بذكر أعظم نعيم يناله أهل الجنة، وهو رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقةً بأبصارهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ، تريدون شيئًا أزيدكم، فيقولونَ: ألم تبيِّض وجوهَنا ألم تدخلنا الجنةَ وتنجِّنا مِنَ النَّارِ؟، قال: فيكشِفُ الحجابَ فما أُعْطُوا شَيئًا أَحَبَّ إليهم من النَّظر إلى ربِّهِم** عَزَّ وَجَلَّ» ثمَّ تلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(١)]، وقد فسَّر جماعةٌ من الصحابة أيضًا الزيادةَ في الآية السابقة بأنها رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، منهم أبو بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعامر بن سعد وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)].

والنظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يكون إلا بعد الموت، كما قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَلَّمُوا أنه لن يَرى أحد منكم ربَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ **حتى يموت**»[(٣)]

ولذا كان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاته: «**اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك،**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، رقم: (١٨١).

(٢) أخرج أقوالهم الطبريُّ «جامع البيان» (١٢/ ١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، رقم: (١٦٩).

والشَّوق إلى لقائك، في غير ضرَّاءَ مضرَّةٍ، ولا فتنةٍ مضلةٍ»[١].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما قال من غَيرِ ضرَّاء مُضِرَّة، ولا فتنة مُضِلَّة؛ لأنَّ الشوقَ إلى لقاء الله يستلزمُ محبةَ الموتِ، والموتُ يقعُ تمنِّيه كثيراً من أهل الدنيا بوقوع الضراء المُضِرَّة في الدنيا، وإن كان منهيًا عنه في الشرع، ويقعُ من أهل الدِّين تَمَنِّيه لخشية الوقوع في الفتن المُضِلَّة، فسألَ تمنِّي الموتَ خاليًا من هذين الحالين وأن يكون ناشئًا عن مَحْضِ محبة الله، والشوق إلى لقائه»[٢].

قوله (لا يُمارون في النَّظَرِ إليه ولا يشكون): وهذا تنبيهٌ جليلٌ من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يجب على المؤمن أن لا يكون عنده شكٌّ ولا مرية في شأن الرؤية، فضلاً عمَّن ينكرها –والعياذ بالله– فإن هذا موجِبٌ لحرمانهم منها؛ لأنه لم يقم في قلبهم الطمعُ في رؤية الباري عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال بعض السلف: «**مَن كذَّبَ بكرامةٍ لم يَنَلْها**»[٣]، ورؤية الله عَزَّوَجَلَّ أجلُّ كرامةٍ.

قوله (فوجوههم بكرامتِهِ ناضرة): من النُّضْرة وهي الحُسن والبهاء، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ أي حسنةٌ بهيَّةٌ، وتنوَّعت عبارات السلف في تفسير هذه الآية فقيل ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بمعنى: حسنة، وناعمة، ومسرورة، ومشرقة، ومُنِيرة، والنُّضْرةُ تشمل ذلك كلَّهُ.

وقوله (بكرامتِهِ): أي أنَّ هذه مِنَّةٌ مَنَّ الله عليهم أن هداهم للإيمان وأكرمهم بالاستقامة وثبَّتهم على الطاعة، حتى منَّ عليهم بكرامةِ النَّظر إلى وجهه الكريم.

---

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» رقم: (١٣٠٥)، وصححه الألباني في «الكلم الطيب».

(٢) «شرح حديث لبيك اللهم» (ص٩٥).

(٣) انظر «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (١/ ٣٧٤).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، أي حَسَنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظرُ إلى الخالق، وحق لها أن تَـنْضَرَ وهي تنظرُ إلى الخالق»[1]، أي أنها تَكْسِبُ هذا الحسن والبهاء برؤيتها لله عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله (وأعينهم بفضله إليه ناظرة): وهذا تأكيد أن رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقيةٌ بالأبصار؛ في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ لأن النظر إذا عُدِّي بـ(إلى) لم يحتمل غير الرؤية الحقيقية بالأبصار.

قوله (في نعيمٍ دائمٍ مقيم): أي نعيم مستمر دائم؛ ويشمل هذا النظر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأهل الجنة يتفاوتون في هذا النعيم بحسب تفاوتهم في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ والإيمان به، فهم ليسوا في ذلك على درجة واحدة.

قوله (﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾): النصب: هو التعب، فليس في الجنة تعبٌ ولا مشقَّةٌ ولا أمراضٌ ولا أسقام، بل فيها النعيم واللَّذة.

قوله (﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾): أي: يبقون فيها أبد الآباد، مُخَلَّدين في هذا النعيم المقيم والفضل العميم.

قوله (﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾): أي أُكلُ الجنَّة وظِلُّها ونعيمُها دائمٌ غير منقطعٍ، وقد جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عاقبة المتقين ومآلهم، وأمَّا الكافرين فعقباهم النارُ، وبئس القرار، فَكَم بين الفريقين من الفَرقِ المبين.

قوله (وأهل الجحد عن ربِّهم يومئذ محجوبون): أي الكفار عن ربهم يومئذ محجوبون، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، أي لا يرون الله عَزَّ وَجَلَّ ولا

---

(١) أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٠٧).

ينالون هذا النَّعيم، وهذا الحَجْب سببهُ سخط الله عليهم، فإذا كان الربُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَجَبَهم عن هذا النعيم لسخطِهِ عليهم فما شأن من رضي عنهم الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (سمعت إبراهيم بن هرم القرشي -وكان من عِليَـةِ أصحاب الشافعي- يقول: سمعت الشافعيَّ يقول في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: «فلما حجَبَهم في السخط كان هذا دليلاً على أنهم يرونَهُ في الرِّضا».

فقال له أبو النجم القزويني: يا أبا إبراهيم -يعني المزني-، به تقول؟

قال: **نعم، وبه أدين.**

فقام إليه عصام فَقَبَّلَ رأسَهُ وقال: يا سيد الشافعيين اليوم بيَّضْتَ وجوهَنا)(١).

فكم يحتاج الناسُ إلى مثل هذه المواقف التي تُبَيِّضُ الوجوه، لا أن يمشيَ الإنسان مسارياً ومجارياً ما عليه أهلُ بلده: من مخالفة، أو تعطيل، أو نفي؛ بل يُبيِّن الحقَّ ويصدعُ به، ليكون كالإمامِ المُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قيل له: «يا سيد الشافعيين بيَّضت وجوهنا».

قوله (وفي النار يسجرون): يعني يوقدون، من قولهم: (سَجَرَ التَّنُّور) إذا ملأه بالوقود(٢).

قوله (﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾): فالكفار لا يموتون بل هم باقون في هذا العذاب أبد الآباد، كما قال تعالى:

---

(١) أخرجه ابن كثير في «مناقب الشافعي» (ص١٩٠)، وقد روي من غير وجهٍ عن الشافعي نحوه.

(٢) «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٣٠٤).

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

قوله (﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾): أي في النار، فإنه لا يتوقف بل يزداد كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

قال العلامة السعدي رحمه الله: (وكل وقت وحين يزداد عذابهم، وهذه الآيات أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار)[1].

قوله (خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها): أي أن الذين يُعذَّبون في النار على صنفين: الأولُ هم الكفَّار، والصنف الثاني هم المسلمون الذي استحقُّوا دخول النار بمعاصيهم، ويسمون «عصاة الموحدين»، وهؤلاء يعذَّبون على جرائمهم وموبقاتهم، ثم يخرجون من النار جماعات في أوقات متفاوتة، حتى لا يبقى في النار إلا الصنف الأول وهم الكفَّار، كما جاء في الحديث القدسي: «**أخرجوا من النار مَن قال: (لا إله إلَّا الله) وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[2].

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر صفة خروج هؤلاء من النار، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر أهل النار الذين هم أهلها، ذكر بعدهم أقواماً فقال: «**ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أُذِنَ بالشفاعة، فجيء**

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ٩٠٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم: (٢٢)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب: الإيمان رقم: (١٨٣).

بهم ضبائر ضبائر، فبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّةِ تكون في حَميل السيل»[١].

فقوله ﷺ «**أصابتهم النار بذنوبهم**»: أي: التي دون الكفر.

وقوله: «**فأماتهم إماتـةً حتى إذا كانوا فَحْمًا**»: أي يكونون كمثل قِطَعِ الفحم.

وقوله: «**فجيء بهم ضبائر ضبائر**» أي: دُفعات دُفعات، وخرجوا بهذا التفاوت لأن كبائرَهم مُتفاوتة ليست على درجة واحدة.

وقوله: «**فيُلقون في نهرٍ يقالُ لهُ نَهَرُ الحَيَاةِ فينبتون فيه**»: أي بعد موتهم في النار وتحولهم إلى قطعٍ من الفحم: يُلقون في نهرِ الفردوس فيَحْيَون بمائه.

وقوله: «**كما تَـنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيلِ**»: الحِبَّة: هي البذور التي تنبت في الصحراء؛ ومنها ما ينبتُ على جنبتي السيل عندما يطفح، فتنبت وتحيا بمائه، وهذا أمرٌ يدركه أهل البادية؛ لذا قال رجلٌ: «كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية»[٢].

و في رواية قال «**ألم تروا أنَّـها تخرج صفراءَ ملتوية**»[٣]: أي أنها أول ما تنبت تكون ضعيفة، ثم تَشْتَدُّ وتصبحُ خضراء نَضِرَة، فهكذا الشأنُ في هؤلاء.

***

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، رقم: (٧٤٣٩)، ومسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان رقم: (١٨٥)

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، رقم: (١٨٥).

(٣) أخرجه للبخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم: (٢٢).

المَتْن

والطَّاعَةُ لأُولِي الأمرِ فِيما كانَ عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَرضِيًا، واجتِنابُ ما كانَ عندَ اللهِ مُسْخِطًا، وتَركُ الخُروجِ عندَ تَعَدِّيهِم وجَوْرِهِم، والتَّوبَةُ إِلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَيما يَعطِفُ بِهِم عَلى رَعِيَّتِهِم.

الشَّرْحُ

شرع المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في تقرير ما يتعلَّقُ بالسمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف، والنُّصح لهم كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾، وقد تتابعَ العلماء على إيراد هذه المسألة في مصنَّفاتهم في الاعتقاد، وكذا مصنَّفاتهم في الحديث، ومِن أحسن ما جُمِعَ في ذلك كتابُ الإمارة من «صحيح مسلم».

قوله **(والطَّاعةُ لأولي الأمرِ فيما كانَ عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَرْضِيًّا)**: ما ذكرَهُ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ هو معنى الحديث النبويِّ الشريف: «**إِنَّما الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[1].

---

(١) رواه البخاري رقم: (٦٨٣٠)، ومسلم رقم: (٤٨٧١).

وقوله (**واجتِنابِ ما كانَ عِندَ اللهِ مُسْخِطـًا**): هو معنى قوله النبي ﷺ: «**لا طاعَةَ لِمَخلُوقٍ في معصِيةِ الخالِقِ**»(١).

فتجب طاعة وليِّ الأمر ما لم يأمر بمعصية كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وللحديث المتقدِّم، فإن أمرَ الحاكمُ بمعصيةٍ فلا يُسمعُ له، بل يجبُ أن يُعصى في هذا الأمر، ولكن لا يُشرعُ الافتيات عليه والخروج لأجل هذه المعصية كما سيأتي.

وقد صحَّ أن النبيَّ ﷺ أمَّـرَ أحدَ الصحابة على سريَّة، فاستعمل رجلاً من الأنصار، وأمَرَهم أن يُطِيعُوهُ، فغَضِبَ فقال: (أليس أَمَرَكم النبيُّ ﷺ أن تُطيعوني؟) قالوا: (بلى)، قال: (فاجمعوا لي حَطَبًا)، فجمعوا، فقال: (أوقدوا ناراً)، فأوقدوها، فقال: (ادخلوها)، فهَمُّوا، وجَعَلَ بعضُهم يُمْسِكُ بعضـًا، ويقولون: (فَرَرْنا إلى النبي ﷺ من النار)، فما زالوا حتى خَمدتْ النار، فسَكَنَ غضَبُهُ، فبلغَ النبيَّ ﷺ، فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف**»(٢).

قوله (**وتَركِ الـخُروجِ عِندَ تَعدِّيهم وجَورِهِم**): وأدلة النهي عن هذا الأمر كثيرة جداً، منها قول النبي ﷺ: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**» **قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم**

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» رقم: (٣٨١)، والبغوي في «شرح السنة» رقم: (٢٤٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» رقم: (٧٥٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٤٣٤٠)، ومسلم رقم: (١٨٤٠).

من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمَلَهُ، ولا تنزعوا يداً من طاعة»[١].

وسبب نهي النبي ﷺ أمَّتَهُ عن الخروج على الولاة الظلمة هو المفسدة الكبيرة والأضرار الوخيمة المترتبة على ذلك؛ من إراقة دماء، وإهلاك لأموال، وضياع الدين، وذهاب الأمن، فلا يطمئن المسلم في عبادته، ولا يأمن على عرضه وماله، وتَعُمُّ الفوضى في البلاد.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشدَّ الناس امتثالاً لهذا الأمر النبويِّ، وأبعدَهم عن ما يسبب هذه المفاسد الكبيرة للناس:

قال ابن مسعود رضي الله عنه لما اشتكى الناسُ إليه سيرة الوليد بن عُقبة: «**اصبِروا، فإنَّ جَورَ إمامٍ خمْسِينَ عامًا خَيرٌ مِن هَرجِ شَهر**»[٢].

وقال أنسُ بن مالك رضي الله عنه لما شُكِيَ إليه ما يقوم به الحجاج الثقفي: «**اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم** سمعتُهُ من نبيكم ﷺ»[٣].

قوله (**والتَّوبةُ إلى الله** عز وجل **كَيمَا يَعطِف بِهم على رَعِيَّتهم**): بيَّن المصنِّف رحمه الله في هذه الجملة المَخْرَجَ والـمَنجى في مثل هذا المقام، فقال: (**والتَّوبةُ إلى الله** عز وجل) وذلك أنَّ تسلُّطَ الولاة وجَورِهِم إنما هو بسبب الذنوب، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾، فعلى العِباد أن يتوبوا إلى الله أولاً، ويُصلحوا أنفسَهم،

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (١٨٥٥).

(٢) أخرجه الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» برقم: (١٠٢١٠)، وقال الحافظ العِراقي في «المغني عن حمل الأسفار» في كتاب: الصبر والشكر رقم (١٤٤١): (**أخرجه الطبراني بإسنادٍ لا بأس به**)، وفسَّر النبيُّ ﷺ الهرجَ في أحاديث متعدِّدة بأنه: (القتل)، انظر: «صحيح البخاري» حديث رقم: (٦٠٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، رقم: (٧٠٦٨).

وأهليهم، ومَن حولَهم بالدعوة إلى الله؛ حتى ينتشر الصَّلاح ويَعُمَّ الخير، فيلطف الله ﷻ بهم، ويُريحُهم من ظلم هذا الظالم بصلاحهِ، أو يُبْدِلهم خيراً منه وأصلح، فالأمر كلُّه بيد الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والتاريخ فيه عبرةٌ عظيمة لكلِّ مَن تدبَّرَهُ، فترى كثيراً من الناس الذين خالفوا أمر النبي ﷺ، وخرجوا على ولاتهم، ولم يسلكوا المسلك الشرعيَّ في هذا الباب نتج عن ذلك فسادٌ عظيم على العِباد والبلاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولعله لا يَكاد يُعْرَف طائفةٌ خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»(١).

وقال أيضـاً: « ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة؛ للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم...» (٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله قال: «وأَما لُزُومُ طاعَتهم وإن جاروا فلِأَنهُ يترَتَّبُ على الخُرُوجِ مِن طاعَتهِم منَ المَفاسِدِ أَضْعافُ ما يَحصُلُ مِن جَورهِم، بَل في الصَّبرِ على جَورهِم تكفيرُ السَّيئاتِ ومُضاعَفةُ الأُجُورِ، فَإِنَّ اللهَ تعالى ما سَلَّطهم عَلينا إلَّا لفَسَادِ أَعمالِنا، والجَزاءُ مِن جِنسِ العَمَلِ؛ فَعلينا الاجتهَادُ في الاستِغفارِ والتَّوبةِ وإِصلاحِ العَمَلِ ... فَـإِذا أَرادَ الرعِيةُ أَن يَتخَلَّصُوا مِن ظُلمِ الأَميرِ الظالمِ فَليتركُوا الظُّلمَ»(٣).

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٩١).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٣٠).

(٣) « شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢٥٢).

المَتْن

والإمساكُ عَن تَكفِير أَهلِ القِبلَةِ، والبراءَةِ مِنهُم فيما أَحدَثُوهُ ما لَم يَبتَدِعُوا ضَلالاً، فَمَنْ ابتَدَعَ مِنهُم ضَلالاً كانَ عَلى أَهلِ القِبلَةِ خارِجًا ومِنَ الدِّينِ مارِقًا، ويُتَقَرَّبُ إِلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِالبَراءَةِ منهُ، ويُهجَرُ ويُحْتَقَرُ، وتُجتَنَبُ غُدَّتُهُ؛ فهيَ أَعدى مِن غُدَّةِ الجَرَبِ.

الشَّرح

الواجبُ في هذا الباب هو التوسُّطُ بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، وإنما تتحقق هذه الوسطية بلزوم الحقِّ والهدى الذي جاء عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله (والإمسَاكُ عن تَكفِيرِ أَهلِ القِبلَةِ): أي الذين يستقبلون الكعبة، ويصلون إليها، ممَّن لهم أخطاءٌ ومخالفات لا توجبُ خروجهم من الملة، كما جاء في قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَن صلَّى صلاتَنا واستَقبَلَ قبلَتَنا، وأكلَ ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»[1].

فمن كانت هذه حالُهُ فالأصلُ هو الإمساك عن تكفيرهِ، لأنه مسلمٌ، ولا يُنقَلُ عن هذا الأصل إلا بيقين، بخلاف طريقة الخوارج والمعتزلة الذين يُسارعون إلى تكفير كُلِّ من خالَفَ فِكرَهم وطريقتَهم من المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، رقم: (٣٩١).

قوله (والبرَاءَةِ مِنهُم فيما أَحدَثُوهُ) أي: والإمساكُ عن البراءةِ منهم فيما أحدثوه، وهذا خاصٌّ بمن أخطأ أو وقعَ في زلَّةٍ من أهل السنة فإنَّه يُمسَكُ عن البراءةِ منه، لأنه لا أحدَ معصومٌ من الخطأ والزلل.

قال الإمام الذهبيُّ رحمه الله: «لو أننا كُلَّما أخطأ إمامٌ مجتهدٌ في مسألة خطأً مغفوراً له هجرناه وبدَّعناه، لما سَلِم أحدٌ من الأئمة» (١).

لكن استثنى المصنِّفُ رحمه الله بعد ذلك مَن لم يكن من أهل السنة، فقال:

قوله (ما لَم يَبتدِعوا ضَلالاً، فَمَن ابتَدَعَ مِنهم ضَلالاً كانَ على أَهلِ القِبلَةِ خارِجًا، ومِنَ الدِّينِ مارِقًا، ويُتَقَرَّبُ إِلى اللهِ عز وجل بِالبَراءَةِ مِنهُ، ويُهْجَرُ ويُحْتَقَرُ): مَن ابتدع ضلالاً، وأقام دينه على قواعد أهل البدع، ومخالفة السُّنَن، فإنه يُتَبرأُ منهم ومن طريقتهم، ويُهجَرون حتى يَسْلَمَ الإنسانُ من بدعتهم ويحفظَ دينَهُ، وهذه من فوائد الهجر العائدة على الهاجر، ولهجرِ أهل البدع فائدةٌ أخرى تعود على المهجور: ليكون زجراً له عن بدعته، وهذا الباب يُنظر فيه بحسب قاعدة الشريعة جلب المصالح ودَرْء المفاسد.

قوله (وتجتنبُ غُدَّته، فَهِيَ أَعدى مِن غُدَّةِ الجَرَبِ): غُدَّة الجرب تخرج في الحيوانات، وهي معدية، وعدوى أهل البدعِ أشدُّ.

****

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٦/ ١٠٢٥).

المتن

ويُقالُ بِفضلِ خليفةِ رسولِ اللهِ ﷺ أَبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فهوَ أفضلُ الخَلقِ وأخيرُهم بعدَ النَّبي ﷺ، ونُثَنِّي بعدَهُ بِالفارُوقِ وهو عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه، فهما وزيرا رَسولِ اللهِ ﷺ، وضَجيعاهُ في قَبرِهِ، ونُثَلِّثُ بِذي النُّورَينِ عُثمانَ ابنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، ثُمَّ بِذي الفَضلِ والتُّقى عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ رضي الله عنهم أَجمَعينَ .

ثُمَّ الباقينَ منَ العشرةِ الذينَ أَوجَبَ لَهم رسولُ اللهِ ﷺ الجَنَّة، ونُخلِصُ لِكُلِّ رجلٍ مِنهُم مِنَ المَحَبَّةِ بِقَدْرِ الذي أَوجَبَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ من التَّفضيلِ، ثُمَّ لِسائرِ أَصحابِهِ من بَعدِهم رضي الله عنهم أَجمَعينَ.

ويُقالُ بِفَضلِهِم، ويُذكَرُونَ بِمَحاسِنِ أَفعالِهِم، ونُمسِكُ عَنِ الخَوضِ فِيما شَجَرَ بَينهم، فَهُم خِيارُ أَهلِ الأرضِ بعد نَبِيِّهم، ارتَضاهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ، وجَعَلَهم أَنصارًا لِدِينِهِ، فهم أَئِمَّةُ الدِّينِ وأَعلامُ المُسلِمينَ رضي الله عنهم أَجمَعينَ.

الشَّرحُ

شرع المصنِّف رحمه الله في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم، وبيان فضلهم وخيريَّتهم وعدالتهم، وإثبات ما جاء في السنة من المفاضلة بينهم،

فالصحابة متفاضلون كما أن الأنبياء متفاضلون، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

قوله (**وَيُقالُ بِفَضلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبِي بكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فهُو أَفضلُ الخلقِ وَأَخْيَرُهم بعدَ النَّبِي ﷺ، وَنُثَنِّي بَعْدَهُ بِالفَارُوقِ وهُو عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه**): بدأ المصنِّف بذكر أفضل الصحابة على الإطلاق، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذكرَ بعدَه الفاروق عمر رضي الله عنه، وهذا الذي بيَّنه المصنِّف رحمه الله قد دلَّت عليه نصوصٌ عديدة من السنة، ومن كلام الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**كُنَّا نَقولُ ورَسولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفضَلُ أُمَّةِ النبيِّ ﷺ بعدَهُ أَبو بكرٍ ثُمَّ عُمرُ ثُمَّ عُثمَانُ رضي الله عنهم**»(١).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سَألهُ ابنُهُ محمد بن الحنفية: «**أَيُّ النَّاسِ خَيرٌ بعدَ رَسولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: أَبـو بَكرٍ، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وخَشِيتُ أَن يَقُولَ عُثمَانُ قُلتُ: ثُمَّ أَنتَ؟ قالَ: ما أنا إِلا رَجُلٌ مِن المسلمينَ**»(٢).

وقال أيضـاً رضي الله عنه: «**بلغَني أن أناسـاً يفضِّلوني على أبي بكر وعمر، لا يُفَضِّلُني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلا جلدتُّهُ حَدَّ المفتري**»(٣).

---

(١) أخرجهُ أبو داود في «السنن» كتاب: السنة، باب في التفضيل، رقم: (٤٦٢٨)، وصححهُ الألباني في المشكاة، رقم: (٦٠٨٥).

(٢) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» كتاب: المناقب، باب قوله: لو كنت متخذاً خليلاً، رقم: (٤٦٢٨).

(٣) أخرجهُ الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» رقم: (٣٨٧) واللفظ له، وابن أبي عاصم في «السنة»، رقم: (٩٩٣) بنحوه، وحسَّنه الألباني في « ظلال الجنة» (٢/ ٤٧٩).

بل صحَّ أنَّ أبا بكر وعمر أفضلُ الناس على الإطلاق بعد النبيين والمرسلين، كما روى علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر وعمر سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النَّبِيين والمُرْسلين، لا تُخْبِرْهما يا عَلِي**»(١).

قوله (**فهُما وزِيرا رَسولِ اللهِ ﷺ**): قد رُوِيَ عن النبي ﷺ بسندٍ فيه ضعف أنه قال: «**وزيراي أبو بكر وعمر**» (٢).

ولكن من جهة المعنى صحيحٌ؛ فالوزير في اللغة هو الـمُعينُ والـمُشير، وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يستشيرهما ويُرافقانه ويُلازِمانه كما ثبتَ في وقائع متعددة في السنة، حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**إن كنتُ لأظُنُّ أَن يَجعلكَ اللهُ مع صاحبيك؛ وذلك أني كنت كثيراً ما أسمعُ رسول الله ﷺ يقول: (جئتُ أنا وأبو بكر وعمر)، و(دخلتُ أنا وأبو بكر وعمر)، و(خرجتُ أنا وأبو بكر وعمر)، فإنْ كنتُ لأرجو أن يجعلكَ اللهُ معهما**»(٣).

وفي هذا يقول الحافظ عبد الله بن أبي داود السجستاني رحمه الله في «حائيته»:

وقلْ إنَّ خيرَ الناس بعدَ محمدٍ ... وزيراه قدمـًا، ثم عثمانُ الارجَحُ

قوله (**وضَجِيعاهُ في قَبرِهِ**): حيثُ دُفِنا معه في حجرةِ عائشة رضي الله عنها.

قوله (**ونُـثَـلِّـثُ بذي النُّورَينِ عُثمانَ بن عَفَّانَ رضي الله عنه**): وذو النُّورين لقبٌ له؛ لأنَّه تزوج بابنتين لرسول الله ﷺ، لما ماتت إحداهما زوَّجهُ رسول الله ﷺ الأخرى.

---

(١) أخرجهُ الترمذيُّ في «الجامع» رقم: (٣٨٧)، وصححه الألباني في « الصحيحة» برقم: (٨٢٠).

(٢) أخرجهُ الترمذي في «الجامع» رقم: (٣٦٨٠)، وضعَّفه الألباني في « السلسلة الضعيفة» رقم: (٣٠٥٦).

(٣) أخرجهُ الإمام مسلم في «صحيحه» رقم: (٢٣٨٩).

قوله (ثُمَّ بِذِي الفَضلِ والتُّقى عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهم أَجمَعينَ): وهذا الترتيب الذي ذكرَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ في المنزلةِ والفضل لهؤلاء الأربعة هو بحسب ترتيبهم أيضاً في الخلافة، وأهل السنة يؤمنون بهذا الترتيب جزماً ويقيناً.

قوله (ثُمَّ الباقينَ مِن العشرَةِ الذين أَوجبَ لَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ الجنَّة): سُمُّوا بالعشرة المبشَّرين بالجنة لأنَّ رسول الله ﷺ ذكرهم جملةً واحدة في حديثٍ واحد، وهو قوله ﷺ: «أبو بكرٍ فِي الجنةِ، وعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وعُثمانُ فِي الجَنَّةِ، وعَلِيٌّ في الجَنَّةِ، وطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزبَيرُ فِي الجَنَّةِ، وعبدُ الرحمَنِ بنُ عَوْفٍ فِي الجَنةِ، وسعدٌ في الجَنَّةِ، وسَعِيد بنُ زَيدٍ في الجَنَّةِ، وَأَبو عُبيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»(١).

وقد نظم عددٌ من أهل العلم هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة في أبيات، منها قول ابن أبي داود في «حائيته»:

وقُلْ إنَّ خيرَ الناس بعدَ محمدٍ ... وزيراه قدماً، ثم عثمانُ الارجَحُ
ورابعهم خير البرية بعدهم ... عليٌّ حليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنجِحُ
وإنهمُ والرهطُ لا ريبَ فيهمُ ... على نُجُبِ الفِردوس بالنورِ تَسْرحُ
سعيدٌ وسعدٌ، وابنُ عوفٍ وطلحةُ ... وعامرُ فهر والزبيرُ المُمَدَّحُ

قوله (ونُخلِصُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنَ الْمَحَبَّةِ بِقَدْرِ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ التَّفْضِيلِ): أي أنَّ مقدار محبَّتهم يتفاوت بحسب تفاوتهم في الفضل والمنزلة، وهذا يُحفِّزُ المسلم أن يقرأ فضائل الصحابة، ومناقبهم الرشيدة، ومآثرهم الحميدة، حتى تزيد محبتهم في قلبه، وإذا زادت المحبة في قلبه زاد الإتباع والاتساء بهم.

(١) أخرجهُ الترمذيُّ في «الجامع» رقم: (٣٧٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٥٠).

قوله (ثُمَّ لِسائِرِ أَصحابِهِ مِن بَعدِهِم رضي الله عنهم): أي نُخْلِصُ المحبَّة أيضًا لسائر الصحابة من بعد العشرة، فتجب محبَّتهم على كُلِّ مسلمٍ لسابقتهم في نصرة هذا الدين والدعوة إليه، ولِما مَنَّ الله به عليهم من رؤية النبي عليه الصلاة والسلام، وسماع أحاديثه صلى الله عليه وسلم.

ومحبَّتهم علامةٌ على الإيمان، كما أنَّ بُغضَهم علامةٌ على النِّفاق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغضُ الأنصار**»(١)، وقال أيضًا: «**لا يُحبُّهم إلا مؤمن، ولا يُبغضهم إلا منافق، مَن أحبَّهم أحبَّهُ الله، ومَن أبغضهم أبغضَهُ الله**»(٢).

قال الطحاوي رحمه الله: «ونُحبُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نُفرِطُ في حُبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونُبْغِض من يُبْغِضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »(٣).

قوله (ويُقالُ بِفضلِهِم، وَيُذكرُونَ بِمَحَاسِنِ أَفعَالِهِم): ذكرَ المصنِّفُ حقًّا آخر من حقوق الصحابة رضي الله عنهم؛ وهو: تَعْدادُ فضائِلِهم ومناقِبِهم، والله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه قد بيَّن فضائلهم، ومدَحَ ظاهرهم وباطنهم في آياتٍ عديدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) أخرجهُ البخاري في «صحيحه» رقم: (١٦).

(٢) أخرجهُ مسلم في «صحيحه» رقم: (٧٥).

(٣) «العقيدة الطحاوية» (ص٥٧).

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

ونجد أنَّ السلفَ الصالح حرصوا على جمع فضائل الصحابة الواردة في السنة في مؤلفات كثيرة، سواء مفردة أو ضمن أمهات المصنفات، ليتعلَّم الناسُ منازل الصحابة، ويَقْدُروا لهم قدرَهم الواجب لهم شرعـًا.

قوله (ونُمسِكُ عَنِ الخَوضِ فِيْمَا شَجَرَ بَينهُم): وهذا حَقٌّ ثالثٌ مِن حقوق الصحابة رضي الله عنهم؛ وهو الإمساك عما شجر بينهم مِن خلافٍ ونحوه، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «**إذا ذُكِرَ أَصحابِي فَأَمسِكُوا**»(١)، والمراد بالحديث أي: إذا ذُكِروا بغير المدح والثناء، فإن المسلم مأمور بالإمساك وكفِّ اللسان، وعدم الخوض، وهذا شاملٌ أيضـًا لِمَن يَتَكلَّف النظرَ في التاريخ للتحكيم ومعرِفة الـمُصيب والـمُخطئ، فهذا لا يجوزُ لأنَّ الأمر وقعَ وانقضى والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، ولأنَّ أهلَ البدعِ استغلُّوا ما شجرَ بين الصحابة فوضعوا في ذلك قصصـًا وحكايات مكذوبة.

وأمَّا ما صحَّ مِن هذه الأخبار -وهو قليلٌ جداً- فإنَّهم مجتهدون فيه، فالمخطئُ منهم مغفورٌ له وله أجر، والمصيبُ منهم له أجران، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر**»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» رقم: (١٤٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم: (٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (١٦١٧).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة في الصحابة: «ويُمسكون عما شجر من الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون»(١).

وما أجملَ ما قالهُ عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله حينما سُئل عن بعض ما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم قال: «تلك دماء طهر الله منها سيوفنا، فلا تخضب بها ألسنتنا»، إلا إن كان هذا الخوضُ للدفاع عنهم والذبِّ عن أعراضهم، وتبرئةِ جنابهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «لكن إذا ظَهرَ مُبتدِعٌ يقدَحُ فيهم -أي في الصحابة- بالباطلِ فلابُدَّ من الذَبِّ عنهم، وذِكْرُ ما يُبطِلُ حُجَّتَهُ بعلمٍ وعدل»(٢).

قوله (**فَهُم خِيارُ أَهلِ الأَرضِ بَعدَ نَبِيِّهِم، ارتَضَاهُم اللهُ عز وجل لنَبِيِّهِ، وجعلهم أَنصَاراً لِدينِهِ، فَهُم أَئِمَّةُ الدِّينِ وأَعلامُ المُسلِمينَ رضي الله عنهم**): وكفى بهذا شرفًا وفضلاً أن اصطفاهم الله عز وجل لصحبة نَبيِّهِ، وجعلهم أنصاراً وأعوانًا له عليه الصلاة والسلام.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلبَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم خيرَ قلوبِ العباد؛ فاصطفاه وابتعثهُ برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم فوجدَ قلوبَ أصحابهِ خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم يقاتلون عن دينه»(٣).

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص٢٦).

(٢) «منهاج السنة» (٦/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» برقم: (٣٦٠٠)، الألبانيُّ في « شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٣٠).

المَتْن

ولا نَترُكُ حُضُورَ الجُمُعةِ ، وصلاتـها مَعَ بَرِّ هذه الأمة وفاجِرِها لازِمٌ، ما كانَ مِنَ البِدعَةِ بَرِيئًا، فإِنِ ابْتَدَعَ ضَلالاً فَلا صَلاةَ خَلفَهُ، والجِهادُ مع كُلِّ إمامٍ عَدلٍ أو جائِرٍ والحَجُّ.

الشَّرْح

قوله (ولا نَترُكُ حُضُورَ الجُمُعةِ): بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ وجوب المحافظة على الجُمَعِة مع جماعة المسلمين، وهذه المسألة يوردها أهلُ العلم في كُتب الاعتقاد حفاظًا على وحدة المسلمين وجماعتهم، فالمسلم مأمورٌ بحضور الجمعة في المسجد ولو كان الإمام الذي يصلي فاسقًا، أو عنده بعض الأخطاء، حفاظًا على جماعة المسلمين كما تقدَّم، ولذا قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ بعد ذلك:

(وصلاتـها مع بَرِّ هَذه الأمةِ وفاجِرِها لازِمٌ، ما كانَ من البِدعَةِ بَرِيئًا): أي: صلاة الجمعة، فإنها تُصلَّى خلف البرِّ والفاجر تجنُّبًا للفرقة، وكذلك سائر الصلوات، وإنما خَصَّ كثيرٌ من السلفِ الجمعة والعيدين لأن غيرها من الفرائض لا يُفْتَقدُ مَن صلاها معَ غير الإمام؛ لكثرة المساجد، وصحة إقامة أكثر من جماعة في البلد الواحد، بخلاف الجمعة فلا يُقام أكثر من جمعةٍ في البلد الواحد

بعداً عن التفرُّق، إلا إذا كان لذلك حاجة مُلِحَّة كتباعد أطرافِ البلد، أو عدم اتِّساع المكان، ونحو ذلك.

قوله (فَإِنِ ابتَدَعَ ضلالاً فَلا صَلاةَ خَلفَهُ): أي: إذا ابتدع أمراً ناقلاً عن ملة الإسلام، ومن لم تصح صلاتُهُ لنفسِهِ لكفرهِ فإنَّهُ لا تصح إمامته لغيره، فمثل هذا لا يُصلَّى خلفُهُ، أما مَن كان عنده بعضُ البدع التي لا تُخرِجُهُ من الملَّة فإنَّهُ يُصلَّى خلفُهُ ويناصح وتُقام عليه الحُجَّة.

قوله (والجهادُ معَ كُلِّ إِمامٍ عَدلٍ أَو جائرٍ، والحَجُّ): وكلَّ هذا حِفاظًا على وحدة المسلمين وكلمتهم، ورأبًا للصدع، وإبعاداً للشيطان والفتنة.

المَتْن

وإِقصارُ الصَّلاةِ فِي الأسفَارِ، والتخييرُ فِيهِ بَين الصِّيامِ والإفطارِ في الأسفار، إِن شاءَ صامَ وإِن شاءَ أَفطَرَ.

الشَّرحُ

قوله (**وإِقصارُ الصَّلاةِ في الأسفَارِ**): أي: قصر الصلاة الرباعية في السفر، وهذه المسألة من مسائل الأحكام، ولعلَّ الإمام المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد هذه المسألة لوجود مُخالِفٍ فيها من أهل البدع في وقته، فإن مسائل الأحكام لا تُورَدُ -في العادة- في كتب الاعتقاد إلا إذا وُجد من يخالف فيها من أهل البدع، ويكون مَقْصِد العلماء إنكار بدعته، وبيانُ أنَّ هذا الأمرَ ثابتٌ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله (**والتخييرُ فِيهِ بَين الصِّيامِ والإفطارِ، إِن شاءَ صامَ وإِن شاءَ أَفطَرَ**): فالمسافر بالخيار؛ إمَّا أن يأخذ بالرُّخصة ويفطر في شهر رمضان، وإمَّا أن يأخذ بالعزيمة فيصوم، ويدلُّ على ذلك ما خرَّجهُ الإمام مسلم في «صحيحه» عن حمزة الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه سأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصيام في السفر، فقال له: «**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**»، وفي لفظٍ آخر أنه قال: يا رسول الله، أَجِدُ بي قوةً على الصيام في السفر، فهل عليَّ جناح؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هي رخصة من الله، فمن أخذ بها، فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه**»(١).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» برقم: (١١٢١).

المَتْن

هَذِه مَقالاتٌ وأَفعالٌ اجتمَعَ عليها الماضُونَ الأوَّلُونَ مِن أئمَّةِ الـهُدَى، وبِتَوفِيقِ اللهِ اعتصَمَ بِـها التَّابِعُونَ قُدوَةً وَرِضـًا، وجانَـبوا التَّـكَـلُّفَ فيما كُفُوا، فَسُدِّدوا بِعَوْنِ اللهِ ووُفِّقُوا، لَـم يَرغَبوا عَنِ الاتِّـباعِ فَـيُقَـصِّرُوا، ولـم يُـجاوِزوهُ تَـزيُّداً فَـيعتَـدُوا، فنحنُ باللهِ واثِقون، وعليهِ مُتوكِّلونَ، وإِلَيهِ في اتِّباعِ آثارِهِم راغِبُونَ.

الشَّرح

قوله (هذِه مَقالاتٌ وأَفعالٌ اجتَمعَ عَلَيها الماضونَ الأولُونَ مِن أَئِمَّةِ الـهُدى):

بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه استخلصَ هذه العقيدة ممَّا اعتقده وسار عليه الأولون من الصحابة الهُداة، وذلك لأنَّهم خير القرون كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**خيرُ الناس قرني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم...**»(١)، ولأنَّ الله تعالى أثنى على إيمانهم، فقال عَزَّ وَجَلَّ عن أهل الكتاب: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ أي: بمثل إيمان الصحابة فقد حصلت لهم الهداية.

قوله (وبِتَوفيقِ الله اعتصَمَ بِها التَّابِعون قُدوَةً وَرِضـًا): فالتابعون لهم بإحسان تمسكوا بهذه العقيدة اقتداءً بمن سلفهم من الصحابة المهتدين، ورضوا بها؛

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٥٣٣).

وانشرحت صدورهم لها، وتلقَّوها بالتسليم والقَبول؛ لأنَّها العقيدة التي أُمِرنا بالإيمان بها في الكتاب والسنة.

قوله (وجانَبوا التكلُّفَ فِيما كُفُوا): بيَّن المصنِّف رحمه الله أنَّ ما جاء في الكتاب والسنَّة فيه الكفاية والغُنية والسلامة عن أن نتكلَّف ونتخرَّص أموراً لم ترد فيهما كما هو الحاصل عند أهل البدع.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: **«اتَّبعوا ولا تَبْتَدعوا فقد كُفيتم»**(١).

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله: **«من لم يسَعْهُ ما وَسِعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابَهُ، والتابعين لهم بإحسان، والأئمة مِن بعدهم...فلا وَسَّعَ الله عليه »**(٢).

قوله (فَسُدِّدُوا بِعَونِ اللهِ ووُفِّقوا): أي حَظوا بالسَّداد والتوفيق، والسداد هو إصابة الحق، فكان هذا جزاؤهم لأنهم تَحَرَّوا السداد وإصابة الحق في اعتقاداتهم وأعمالهم، لأنهم لازموا أئمة الهدى، وتمسَّكوا بالحقِّ قدر استطاعتهم، وجاهدوا أنفسهم في تحصيل الهداية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ الدِّينَ يُسرٌ، ولَن يُشادَّ الدِّينَ أَحدٌ إِلا غَلبَهُ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا وأَبشِرُوا»**(٣).

قوله (لم يَرغَبوا عنِ الاتِّباعِ فَيُقصِّرُوا، ولم يُجاوِزُوهُ تَزيُّداً فَيَعتَدُوا): في هذه الجملة إشارة إلى وسطية أهل السنة والجماعة بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، وذلك أنهم لم يحصل منهم رغبةٌ عن اتباع نصوص الوحيين؛ وهذا يُعدُّ تقصيراً، ولم يجاوزوا ما جاء فيهما ويعتدوا بالزيادة؛ وهذا يُعدُّ غُلوًّا.

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» رقم: (٢١١)، والطبرانيُّ في «المعجم الكبير» برقم: (٨٧٧٠).

(٢) «لمعة الاعتقاد» (ص١٠).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٥٣٣).

ويدلُّ على هذا المنهج الوسط نصوصٌ عديدة، منها ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن عبادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قد غُفِرَ له ما تقَّدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أُصلي الليلَ أبداً، وقال آخر: أنا أصومُ الدَّهرَ ولا أُفْطِر، وقال آخر: أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»)[1].

قوله (**فنَحنُ بِاللهِ واثِقونَ، وعَلِيهِ مُتوكِّلُون، وإِلَيهِ في اتِّباعِ آثارِهِم راغِبُونَ**): في هذا تأكيدٌ من المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ لما تقدَّم بيانه من ضرورة الفزع إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والرغبة إليه في طلب الهداية إلى الحقِّ، والتمسكِ به، والثبات عليه، فبيده وحده التوفيق والهداية، كما قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٠٦٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٤٠١).

المَتن

فَهَذا شَرحُ السُّنَّة تـحَرَّيتُ كَشفَها وأَوضَحتُها، فَمَن وفَّقَهُ اللهُ للقيامِ بِما أبَنْتُهُ مَع مَعُونَتِهِ لهُ بِالقِيامِ عَلى أداءِ فَرائِضِهِ بِالاحتِياطِ في النَّجاسات، وإسْباغِ الطَّهارَةِ عَلى الطَّاعات، وأَداءِ الصَّلَواتِ عَلى الاستِطاعات، وإيتاءِ الزَّكاةِ عَلى أَهلِ الجِدات، والحَجِّ عَلى أَهلِ الجِدَةِ والاستِطاعات، وصِيامِ الشَّهرِ لِأهلِ الصِّحات.

وخَمسُ صَلَواتٍ سَنَّها رسولُ اللهِ ﷺ مِن بَعدِ الصَّلوات: صَلاةُ الوِترِ في كُلِّ لَيلةٍ، ورَكعَتِي الفَجرِ، وصلاةِ الفِطرِ والنَّحرِ، وصلاةِ كُسوفِ الشَّمسِ والقَمَرِ إذا نَزلَ، وصلاةِ الاستِسْقاءِ متى وَجَبَ.

واجتِنابُ المحارِمِ، والاحتِرازُ مِنَ النَّميمَةِ والكَذِبِ والغيبَةِ والبَغيِ بِغيرِ الحَقِّ، وأَن يُقالَ على اللهِ ما لا يَعلَم، كُلُّ هذا كَبائِرُ مُحَرَّماتٌ.

والتَّحَرِّي في المَكاسِبِ والمَطاعِمِ والمَحارِمِ والمَشارِبِ والمَلابِسِ، واجتِنابُ الشَّهَواتِ فإِنَّها داعِيَةٌ لِركوبِ المُحَرَّماتِ، فَمَن رَعى حَولَ الحِمى فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَن يواقِعَ الحِمَى.

فَمَن يُسِّرَ لِهذا فَإِنَّهُ مِن الدِّين عَلى هُدى، ومِنَ الرَّحمَةِ عَلى رَجا، ووَفَّقَنا اللهُ وإِيَّاك إلى سَبيلِهِ الأقوم، بِمَنِّهِ الجزيلِ الأقدَم، وجَلالِهِ العَلِيِّ الأكرَم.

والسَّلامُ عليكُم ورَحمَةُ اللهِ وبركاتُهُ، وعَلى مَن قَرَأَ عَلَينا السَّلام، ولا يَنالُ سَلامُ اللهِ الضَّالِّينَ، والحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمين.

الشَّرحُ

بعد أن بيَّن الـمصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المختصر ما يتعلق بالإيمان وأصوله، ختم ببيان ضرورة العمل وأهميته، وأنَّه من ثِمار الإيمان الصحيح، فمتى صَحَّ الإيمان في القلب واستقام تَبِعَتهُ الجوارحُ بالتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالأعمال الصالحة، كما قال ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجَسدِ مُضْغَةً، إذَا صَلَحَتْ صلَحَ الجَسدُ كُلُّهُ، وإذا فَسدَت فَسدَ الجَسدُ كُلُّهُ، ألا وهِيَ القلبُ**»[(١)]، ونصوص الوحيين كثيرة ومتظافرة في بيان الترابط بين الإيمان والعمل، فلا تكاد تجدُ آيةً في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يُذكرُ فيها الإيمان إلا ويذكر بعده العمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، في آيات كثيرة.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يُبيِّن ثمرة معرفة أسماء الله تعالى وصفاته: «فكلَّما كان العبدُ بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلَّما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد»[(٢)].

وقد سار على مثل هذا الصنيع عددٌ من أهل العلم الذين صنَّفوا في الاعتقاد؛ منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الواسطية» فإنه ختمها بذكر جملة من الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وحذَّرَ من المحرمات والآثام، لأن هذا هو ثمرة العقيدة التي لا تنفكُّ عنها.

قوله (فهذا «شَرْحُ السُّنَّة» تـحَرَّيتُ كَشفَها وأَوضَحتُها): أي تحرَّيت الدِّقةَ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٢)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٤١٧٨).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (ص٢٠٢).

والصوابَ في كشف السنَّة وبيانها وإيضاحها.

قوله (فمَنْ وفقَهُ اللهُ للقِيامِ بِما أَبنْتُهُ): يعني في هذا المختصر.

(مع مَعُونتهِ لهُ بِالقِيامِ على أَداءِ فَرائِضِهِ): وبدأ مِن هذه الجملة بذكر ما يتعلَّق بالفرائض والنوافل والأخلاق، فقال:

(بِالِاحتِياطِ فِي النَّجَاسَات): لقول النبي ﷺ: «**تَنَزَّهوا من البَولِ؛ فإنَّ عامَّة عذابِ القبرِ منه**»(١).

قوله (وإِسباغِ الطَّهارَةِ على الطَّاعات): أي: إسباغ الوضوء على المكاره، كما قال النبيُّ ﷺ: «**ألا أدلُّكم على ما يَمْحُو اللهُ به الخطايا، ويرفعُ به الدرجات؟**» قال الصحابة: بلى يا رسول الله، قال: «**إِسباغُ الوضوءِ على المَكَاره، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط**»(٢).

قوله (وأَداءِ الصَّلَواتِ): يريد المصنِّف الصلوات المكتوبات، وقد قال الله عزوجل: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾.

قوله (على الاستِطاعات): كما قال النبي ﷺ لعمران بن حُصين رضي الله عنه وكان يشتكي مرضاً: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطعْ فقاعداً، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْب**»(٣).

قوله (وإِيتاءِ الزَّكاةِ على أَهلِ الجِدات): الجِدَة هي الغِنَى والحَظُّ، فالزكاة تجبُ على الأغنياء ممَّن ملك النِّصاب، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثَهُ

---

(١) أخرجه الدارقطني في «سننه» برقم: (٤٥٩)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل»، رقم: (٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (٢٥١).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (١١١٧).

النبي ﷺ لليمن: «**ثم أَبلغْهُم بأنَّ اللهَ افترضَ عليهم زكاةً تؤخذ من أغنيائهم، فتُرَدُّ على فقرائهم**»(١).

قوله (والحَجِّ على أَهلِ الجِدَةِ والاستِطاعات): تقدَّم بيان المراد بالجَدَة، وهي الغِنى والحظ، فمَن ملكَ الزادَ والراحلةَ التي تكفيه لبلوغ الحجِّ والرجوع إلى أهله وهو بالغٌ حرٌّ فقد وجب عليه الحجُّ لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَن مات وهو مُوسِرٌ لم يَحُجَّ، فليَمُتْ على أيِّ حالٍ شاءَ، يهوديًا، أو نصرانيًا**»(٢).

قوله (وصِيامِ الشَّهرِ لِأَهلِ الصِّحات): فصيامُ شهر رمضان فرضٌ على المستطيع القادر، وأمَّا المريض فإنَّه يجوز له الفطر، ويقضي ما أفطره بعد شفائه من مرضه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

ثم انتقل المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بيان بعض المستحبَّات والرغائب فقال:

(وخَمْسُ صلَواتٍ سَنَّها رَسولُ اللهِ ﷺ مِن بَعدِ الصَّلَوات): أي تتأكدُ العناية بها، وهي:

١- **(صَلاةُ الوِتْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ)**: وهي من آكدِ النوافل، ولم يتركها رسول الله ﷺ سفراً ولا حَضَراً، وكان يُوصي بها الصحابَة، وقال ﷺ: «**يا أهل القرآن، أوتروا، فإن**

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (١٤٩٦)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (١٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم: (١٤٦٧٠)، وصحَّح إسنادَه موقوفًا الألبانيُّ في «السلسلة الضعيفة» عند رقم: (٤٦٤١).

الله وِتْرٌ، يحب الوتر»[١].

٢- (وركعتي الفجر): ولم يتركهما رسول الله ﷺ سفراً ولا حضراً، وقال ﷺ في بيان فضلها: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٢].

٣- (وصلاةِ الفِطْرِ والنَّحرِ): يعني صلاة عيد الفطر، وعيد الأضحى، وهما فرضٌ على الكفاية، إن قام بها بعضُ المسلمين صارت مُستحبةً في حقِّ غيرهم.

٤- (وصلاةِ كُسوفِ الشَّمسِ والقمرِ إِذَا نَزَلَ): لقوله النبي ﷺ: «إن الشمسَ والقمرَ لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يريهما عباده، فإذا رأيتم ذلك، فافزعوا إلى الصلاة»[٣]، وحكمُ صلاة الكسوفِ أو الخسوف حُكمُ صلاة العيدين.

٥- (وصَلاةِ الاستِسْقَاءِ مَتَى وَجَبَ): يعني أنَّها مستحبَّةٌ متى احتاج الناس إليها، كأن يُصيبَهم قحطٌ أو جدبٌ، فيدعو إمام المسلمين إلى صلاتها ودعاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يغيثهم، ويكشفَ ما بهم.

ثُمَّ انتقل المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك إلى التحذير من المحرَّمات فقال:

(واجتِنابِ المَحارِمِ): أي نجتَنِب جميعَ ما حرَّمَهُ الله عَزَّوَجَلَّ لاسيَّما كبائر الذنوب الموبقات، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم: (١٤١٦)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم: (١٢٧٤).

(٢) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (٧٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (١٠٨٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٩٠١).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وصف عباده المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾، وقال تعالى أيضاً: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اجتنبُوا السَّبعَ الموبِقاتِ، قَالُوا: يا رسولَ الله وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ بِاللهِ، والسِّحْرُ، وقَتلُ النَّفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بِالحَقِّ، وأَكلُ الرِّبا، وأَكلُ مالِ اليتيمِ، والتَّولِّي يومَ الزَّحفِ، وقَذفُ المُحصناتِ المُؤمِناتِ الغافِلاتِ**»(١).

وأَمْرُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باجتناب هذه الكبائر أبلغُ من مجرَّد تركها، لأنَّ الاجتناب يقتضي أن تكون هي في جانب ونكون في جانبٍ آخر، مبتعدين عنها.

قوله (والاحترازُ من النَّميمَةِ): الاحتِرَازِ هو البُعْدُ والتَّوَقِّي، والنَّميمَةِ: هي السعيُ والوشاية بين الناس بالقالة للإفسادِ بينهم، وخطرها عظيم على المجتمع.

قال يحيى بن أبي كثير اليمامي رَحِمَهُ اللهُ: «يُفسدُ النَّمَّامُ في ساعة ما لا يُفْسِدُهُ الساحرُ في شهر»(٢).

قوله (والكذِبِ): أي: ويجتنب الكذبَ، وأمرُ الكذبِ عظيم، بل جعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات أهل النِّفاق فقال: «**آيةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ**»(٣).

قوله (والغَيبةِ): وقد عرَّفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»(٤).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٢٦١٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٢٧٢).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٧٠).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٣)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٥٩).
(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وجاء التحذير منها في كتاب الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

وجميع هذه الخصال المتقدِّمة التي أشار لها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تفتُّ وتَنْخَرُ في العلاقة بين الإِخْوَة، وقد تُدَمِّرها -والعياذ بالله-، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا تَحاسَدوا، ولا تَناجَشوا، ولا تَباغَضوا، ولا تَدابَروا، ولا يَبِعْ بَعضُكُم على بَيعِ بَعضٍ، وكُونوا عِبادَ اللهِ إِخوانًا، المُسلِمُ أَخو المُسلِمِ**»(١).

قوله (والبَغي بغَيرِ الحَقِّ): أي العدوان والاعتداء على الآخرين وظلمهم.

قوله (وأَن يُقالَ على اللهِ ما لا يَعلَم): وهو من أخطر المحرمات، وكذا الذي قبله وهو البغي بغير الحق، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وهذه الأمور الخمس المذكورة في الآية مُجمَعٌ على تحريمها في جميع الشرائع.

قوله (**كُلُّ هذا كَبائِر مُحَرَّماتٌ**): يعني ما تقدَّم ذكره من النميمة، والكذب، والغيبة، والبغي بغير الحق، والقول على الله بغير علم.

والمصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يقصدْ حصرَ الكبائر فيما ذكره، بل أراد ذكرَ بعضِها تنبيهًا منه على ما لم يذكُره ممَّا جاء تحريمه والأمر باجتنابه في نصوص الكتاب والسنة.

والكبيرةُ: كلُّ ذنبٍ تُوعِّد فاعلُه بوعيد خاصٍّ كالغضب أو اللعنة أو النار، أو ترتَّب على فعلِه حدٌّ في الدنيا(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٥٧١٩)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٦٧٠٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١١/ ٦٥٠ وما بعدها).

قوله (**والتَّحَرِّي في المَكاسِبِ والمَطاعِمِ والمَحارِمِ والمَشارِبِ والمَلابِسِ**): فيتورَّعُ عن كُلِّ ما يضرُّه في الآخرة، سواء في المأكل أو المشرب أو المكسب، وأما من يأكل ويشربُ من الحرام ولا يبالي فهذا من ضعفِ التقوى ومراقبة الله عَزَّوَجَلَّ.

ولابد للمسلم أن يتفقَّه في هذه الأمور التي ذكرها المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليعرف ويميِّزَ بين الخبيث والطيِّب، ويعرف الحلال والحرام من البيوع وسائر المعاملات، وقد سُئِل محمد بن الحسن الشيباني أن يُصنِّفَ كتاباً في الزهد، فقال: «قد صنفت كتاباً في البيوع»[1]، وهذا تنبيهٌ منه أن الورَعَ يكون بتعلُّم البيوع والحلال والحرام ليتحرَّز المسلم ويتوخَّى الحرام في ملبسِهِ ومأكلِهِ ومشربِهِ.

قوله (**واجتِنابُ الشَّهَواتِ فإِنَّها داعِيَةٌ لركوبِ المُحَرَّماتِ، فمَن رَعى حَولَ الحِمى فَإِنهُ يوشِكُ أَن يواقِعَ الحِمى**): كما جاء في الحديث الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبَينهما مُشتَبِهاتٌ لا يَعلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِن النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ فَقَد استبرَأَ لِدينهِ وعِرضِهِ، ومَن وَقَعَ فِي الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كالرَّاعِي يَرعَى حَولَ الحِمى يُوشِكُ أَن يَرتَعَ فِيهِ**»[2]، والحِمى أن يُطوِّق صاحبُ الأرضِ أرضَهُ بحدٍّ، ويمنعَ أحداً مِن الرعي في أرضه، فالراعي إن اقترب مِن هذا الحدِّ أوشك أن يقع في هذا الاعتداء وترعى غنَمُهُ مِن هذه الأرض، فكذلك المسلم مُطالب باجتنابِ الأمور التي تشتبه بالمحرَّمات، لأنَّ ملابستها يفضي لا محالة إلى الوقوع في المحرمات.

---

(١) «تعليم المتعلم» للزرنوجي (ص١١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٥٢)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٤١٧٨).

قوله (**فمَن يُسِّرَ لـهذا فإنَّهُ مِن الدِّين على هُدَى، ومن الرَّحمَةِ على رَجا**): هذه خاتمةٌ عظيمة جداً، فيها بِشارةٌ لمن التزم ما في هذا المختصر بأنَّه من الدِّين على هدى، ومن الرحمة على رجا، وشاهدُ هذا ما أخبر به النبي ﷺ بأنَّ: «**الدِّينَ يُسْرٌ**»[١]، فأعمال هذا الدِّين وعقائده مُيسَّرةٌ، والموفَّق مَن وفَّقه الله لامتثالها والثبات عليها.

قوله (**ووَفَّقَنا اللهُ وإيَّاك إلى سَبيلِهِ الأقوَم، بِمَنِّهِ الجَزيلِ الأقدَم، وجَلالِهِ العَلِيِّ الأكرَم، والسَّلامُ عليكُم ورَحمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ وَعلَى مَن قَرَأَ عَلَينا السَّلام، ولا يَنالُ سَلامُ اللهِ الضَّالِّينَ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ**): وهذا الختم من جميل نُصحهِ رحمه الله، فبعد هذا البيان البيِّن، والنصحِ الجميل ختمَ بالدعاء، فجزاه عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء، ونفعَ بمُؤَلَّفِهِ، ورفع درجته في عِلِّيين، وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقـًا، وتمَّ التعليق على هذه الرسالة القيِّمة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٩).

https://t.me/tahmilkutubwarosailIlmiyah

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تمهيد	٧
ترجمة المصنِّف	٢٩
نصُّ الرسالة	٣٥
مقدِّمة المصنِّف	٤٣
إثبات الصفات بلا تمثيل ولا تعطيل	٥٠
إثبات صفة العلو لله عز وجل	٥٦
الإيمان بالقضاء والقدر	٦٠
الإيمان بالملائكة	٦٩
خلقُ آدم عليه السلام وابتلاؤه	٧٢
الإيمان	٧٧
القرآن كلام الله عز وجل	٨٨
صفات الله الحسنى	٩٢

الموضوع	الصفحة
آجال الخلق وفتنة القبر	٩٩
البعث والنشور	١٠٢
الجنة والنار	١٠٥
طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم	١١٢
الإمساك عن تكفير أهل القبلة	١١٦
فضل الصحابة	١١٨
الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم	١٢٥
الترخُّص برخص السفر	١٢٧
وجوب اتباع ما أجمع عليه سلف الأمة	١٢٨
المحافظة على أداء الفرائض والنوافل	١٣١
اجتناب المحرمات	١٣٥
الخاتمة	١٣٩
فهرس الموضوعات	١٤١

مسجد عائشة المحري